** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

إصدارات الدكتور عادل صادق حصريا لدار الصحوة

الزوج أول من يشكو

معرفتي www.ibtesama.com/vb

عبد الرحمن

the husband complains first

الدكتور
عادل صادق
أستاذ الطب النفسي

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الزوج أول من يشكو..!

الدكتور عادل صادق

أستاذ الطب النفسى

www.ibtesama.com/vb

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٤٧٦٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N

977-255-273-6

للنشر والتوزيع
٥ عطفة فريد - من شارع مجلس
الشعب - السيدة زينب
تليفون: ٠٠٢٠٢٢٣٩٣٧٧١٨
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٣٩٣٧٧٦٧
daralsahoh@gmail.com

www.ibtesama.com/vb

هذا الكتاب:

دعوة للحفاظ على الأسرة

الأستاذ الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى بكلية الطب جامعة عين شمس لديه القدرة على أن يرتفع بنا إلى سماء الأمل والرومانسية والمثالية، ثم يهبط بنا إلى أرض الواقع الجاف الصعب. وهو يفعل ذلك بذكاء العالم ورهافة حس الأديب، ليدافع عن وجهة نظره فى علاقة الرجل بالمرأة، وفى فهمه لدور ومسئولية كل منهما. وهو يؤمن إيمانًا شديدًا بالزواج والأسرة. ويرى أن هناك شيئًا فوق الحب وأعظم منه، وهو المودة والرحمة.

وبذكاء ومهارة واقتدار، وعن علم حقيقى وحس صادق يختار كلماته التى تصيب الهدف مباشرة فتحدث دويّاً هائلا رغم نعومة كلماته ورقتها.

هذا الكتاب فى بعض مواضعه متعة للعقل والقلب، وفى مواضع أخرى زلزلة للجهاز العصبى. ومن هنا تأتى خطورة الكاتب والكتاب، لأنه يدعو إلى شىء هام جدًا وهو الحفاظ على الأسرة فى زمن اللا أسرة.

●●●

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

المقدمة

فى تقديرى أن الرجل يتحمل المسئولية الأولى فى الحفاظ على الأسرة واستمرارها، فهذا هو دوره وهى مسئوليته التى تحتاج إلى رجل حقيقى. والمرأة تحتاج إلى رجل حقيقى، وهى تصطدم صدمة عمرها إذا اكتشفت نقصًا فى رجولة الرجل الذى اختارته ليكون شريك حياتها، والمرأة لا يمكن أن تخضع وتستسلم لرجل منقوص الرجولة. إن وداعة المرأة ورقتها ورحمتها ومودتها وسماحتها لا تكون إلا مع رجل حقيقى، إن الأنوثة لا تحركها إلا أصابع وروح رجل حقيقى، ونفس هذه المرأة تتحول إلى وحش كاسر مع رجل غير حقيقى.

والرجولة الحقيقية ليست فى الفحولة، وهكذا يظن بعض الرجال الواهمين، وبعض الرجال المغرورين النرجسيين، وهم بذلك يكذبون على أنفسهم. الرجولة سلوك إنسانى أخلاقى ينبع من الوجدان أولا..

وفى هذا الكتاب أتعرض لنوعين من المشاكل التى تثور بين الرجل والمرأة ويكون السبب فيها اهتزاز صورة الرجل عند المرأة.. وبالأحرى اهتزاز صورة الرجل عند نفسه. وتدور الصراعات على المستوى الأعمق اللاشعورى. يشكو الرجل ويعانى. وقد لا تشكو المرأة ولكنها تعانى.

www.ibtesama.com/vb

. . ولهذا يتعرض هذا الكتاب لبعض مفاهيم الرجولة والأنوثة، والتى قد يختلف حولها البعض، والاختلافات لها مصادرها وأسبابها التاريخية التراثية. ولهذا ليس من حقى ولا من حق أحد يدعى أنه صاحب الكلمة الأصوب والأصح والأخيرة.

ولابد أن نسمح لكل إنسان بأن يدافع عن وجهة نظره بحماس ما دام صادقًا وحسن النية، خاصة إذا استند إلى الخلفية العلمية دون أن يتأثر إلى حد كبير بمشاكله الشخصية.

دكتور
عادل صادق

●●●

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

١
الرجل الأول

●● الرجل الأول هو ناظر المدرسة ورئيس مجلس إدارة المؤسسة أو الشركة ورئيس القسم بالجامعة وأيضًا هو رب الأسرة والرجل الأول بمعنى المسئول الأول والمرجع الأخير.

●● والمكان يكتسب قيمته ومعناه وأهميته من شخصية الرجل الأول. ومستوى العمل وكفاءة الأداء تتوقف على أفكار ومواهب وإبداعات الرجل الأول، وكذلك القيم الأخلاقية والمبادئ التى تسود المكان والعمل وتتحكم فى المواقف والأحداث وتوجه الأمور تتوقف على قيم وأخلاق ومبادئ الرجل الأول.

●● والرجل الأول بمعنى آخر هو الروح التى تمنح الحياة، وهو الفكر الذى يدير حركة الحياة، وهو الإحساس الذى تنبض به الحياة، وهو الإدراك الكلى الشامل والاستيعاب الأعمق والبصيرة النافذة والرؤية الثاقبة والقوة المحركة.

●● وبمعان أخرى، هو الحماس والطموح والأمل، وهو التخطيط والنظام والمتابعة، وهو المراقبة والحزم والعقاب والثواب.

●● وهو أيضًا الحسم.

www.ibtesama.com/vb

●● وهو أيضًا المرونة والموضوعية والالتزام بالشورى ورأى الجماعة وصوت العقل والحكمة والحكماء.

●● وهو أيضًا ضمير المجموعة أو الجماعة التى يقودها، هو الحلم، أى المستقبل. وهو الماضى بتراثه الأصيل.

●● أى أسرة فاشلة يكون ربها، أى الزوج والأب، رجلا فاشلا.

●● وأى مدرسة أو مؤسسة أو شركة أو جريدة فاشلة يكون رأسها وقائدها رجلا فاشلا.

●● ومن لم يكن مؤهلا للقيادة، أى احتلال موقع الرجل الأول، فليتنح ولا يقدم لأن موقع الرجل الأول هو أهم موقع فى حياة البشر، وهو الدور الأهم، وهو المسئولية الأخطر، والحياة دور ومسئولية.

●● إن شخصية الرجل الأول تنطبع على كل أوجه الحياة وتنعكس بشكل مباشر على الحاضر وتشكل ملامح المستقبل.

● فإذا كان شخصية انحرافية فسيعم الفساد، والفساد يختلف حسب طبيعة المكان، فإذا كان المكان مدرسة وسيبرز أكثر المدرسين انحرافًا ويحتلون الصفوف الأولى وتسود قيم الانتهازية والنفاق والرياء والكذب، ستنهار صورة المعلم وتتحدد مكانته بانتقال هذه القيم السيئة للطلاب. وستكون المدرسة بؤرة فساد لا تقدم لطلابها إلا النماذج الانحرافية.

www.ibtesama.com/vb

وإذا كان المكان مؤسسة أو شركة فستعم الرشوة وسيرتبط العمل بكل صنوف الانحراف المعروفة من غش وتدليس وخداع ونفاق.

أما إذا كان رب الأسرة منحرفًا فلابد أن تصيب عدوى الانحراف أسرته من زوجة وأبناء وبنات، فرب الأسرة هو زارع القيم وحارسها وراعيها، وفاقد الشيء لا يعطيه، وإذا كان رب الدار بالدف ضاربًا، فشيمة أهل البيت كلهم الرقص. فهو المثل الأعلى. وتسيبه وتساهله القيمى ينتقل إلى رعيته.

- ولابد أن يكون الرجل الأول حازمًا. وأن يلجأ للعقاب إذا لزم الأمر، وأن يكون العقاب ملائمًا ومناسبًا للخطأ، وأن يكون فوريّاً فهذا هو معنى الحزم، وألا يتساهل فى مبدأ أو قيمة. وألا يتساهل فى إهمال أو عدم إتقان، وألا يتساهل فى خرق قانون أو قاعدة راسخة.

المتساهل والمتسيب والرخو والضعيف واللاهى والغافل، كل هذه هى سمات الرجل الأول الخائب الذى يؤدى إلى تدهور العمل، وتدهور الأسرة وسهولة انهيارها الأخلاقى والإقلال من كفاءتها، تنخفض جودة الإنتاج فى الشركة، ينهار مستوى التعليم فى المدرسة، تكثر الأخطاء اللغوية والمطبعية فى الجريدة.

إن أكبر سبب يؤدى إلى إهمال عامل أو موظف فى عمله هو تساهل وتسيب وغفلة الرجل الأول، غياب الحزم هو السبب الرئيسى لتدهور أى عمل وأيضًا تدهور الأسرة. وهذا هو رب الأسرة

www.ibtesama.com/vb

الضعيف المتساهل المتسيب الغافل الذى لا يواجه الأمور بحزم والذى لا يقف فى وجه أى خطأ والذى ليست له القدرة على العقاب.

- ولابد للرجل الأول أن يمتلك من المقومات الشخصية ما يتيح له فرصة السيطرة والقيادة؛ والسيطرة لابد أن تكون فكرية. أى أن تكون قوته فى عقله؛ ذكائه، عمله، ثقافته، معلوماته، إحاطته بالأمور، قوة منطقه، حكمته، موضوعيته، إذا كان هناك من يفوقه فى هذه الأمور فسيتغلب عليه. سيفلت زمام الأمور من يديه، سيفقد هيبته، سيقفز آخرون إلى موقع اتخاذ القرار وتسيير الأمور، أى سيحدث خلل فى النظام وستعم الفوضى. وإذا حدث مثل هذا الخلل فى الأسرة فستصبح لا أسرة، أى ستفقد مقومات الأسرة، ستصبح أى شىء آخر إلا أن تكون أسرة. الأسرة نسق متكامل له شكله ونظامه وأصوله وقواعده وتراثه. وهذا النسق يقتضى أن يكون رجلها الأول، أى الزوج والأب، قوياً فكرياً لكى يمسك بزمام الأمور ويقود الأسرة. إذا تراجع عن هذا الموقع بفعل ضعفه الفكرى فسيحدث خلل فى ميزان القوى داخل الأسرة وبذلك ينهار النسق السوى للأسرة.
- ولابد أن يكون مستقبلى النظرة، موهوبًا مبدعًا ليأتى بالجديد ليطور ويضيف، وبذلك تتحرك الحياة، تموت الشركات والمؤسسات والمصانع إذا تجمدت. وحين تتجمد فإنها تلفظ أول

www.ibtesama.com/vb

ما تلفظ رجلها الأول غير الموهوب، المحدود الكفاءة، العاطل ذهنيّاً، المتجمد إبداعيّاً. وهذا هو ما يحدث فى الأسرة إذا كان رجلها الأول خاملاً محدود الأفق. إذ لابد أن يكون رجل الأسرة الأول صاحب مبادآت، ومولدًا لأفكار جديدة، وبذلك يظل باعثًا للروح والحياة والحركة والنشاط.

- ولابد أن يكون الرجل الأول صادق الأحساس، ملهمًا بعاطفته، كبيرًا فى قلبه ليستطيع أن يحتوى بالحب من هم مسئولون منه. القيادة هى أيضًا مشاعر دافئة عميقة مشعة. وحين يكون الرجل الأول بارد الإحساس مسطح العاطفة معطل الوجدان فاقدًا لموهبة الإلهام والحدس والحس الباطنى فإنه يبعث بالبرودة فى جميع أوصال من يعملون معه ويصيبهم تدريجيّاً الخمول والبلادة ثم اللامبالاة. أحد الأسباب الهامة للامبالاة فى الشعوب والجماعات والأفراد هو البلادة العاطفية للرجل الأول.

وإذا كان رب الأسرة بليدًا عاطفيّاً فإن الكيان الأسرى يتفكك. إن أحد دواعى الترابط الأسرى هو طاقة الحب التى يبعثها الرجل الأول، أى الزوج والأب من وجدانه. الجليد العاطفى هو أحد أهم أسباب انهيار الأسرة، وهذه هى مسئولية الرجل الأول.

- والرجل الأول هو رجل الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة. وهذه يتطلب نضجًا وخبرة، يتطلب جهازًا نفسيّاً وعصبيّاً سليمًا.. يتطلب ثباتًا انفعاليّاً. وربما أيضًا موهبة وقدرة خاصة.

www.ibtesama.com/vb

الانفعال الحاد والثورة العارمة والغضب الشديد هى من سمات الشخصية للرجل الأول المهزوز. وأيضًا التقلب والتذبذب الانفعالى هما من سمات الإنسان الذى لا يستطيع أن يقود المسيرة بثبات وطمأنينة وثقة.

فإذا كان رب الأسرة سريع الغضب حاد الانفعال، وإذا كان انفعاله لا يتناسب مع حجم الموقف فإنه سيفقد دوره الحقيقى كرجل أول، لأنه سيكون باعثًا على مشاعر الخوف والقلق وعدم القدرة على التوقع والتنبؤ وعدم الوثوق بالمستقبل وعدم الإحساس بالطمأنينة.

- وآخر سمات شخصية الرجل الأول وإن كان من الممكن أن تأتى فى المقدمة هى الصدق، وإلا فقد مصداقيته تمامًا.

●●●

●● الحياة لا يمكن أن تقوم إلا على أكتاف الرجل الأول، الحياة الصحيحة الحقيقية المثمرة المنتجة والتى تمنح الإنسان سعادة وأمنًا.

●● ومن الممكن أن تقفز المرأة لتحتل مكان الرجل الأول فى الأسرة، وهذا ممكن وجائز وقابل للحدوث؛ ولكن حينئذ سنكون بصدد نسق آخر غير الأسرة التى عرفناها تراثيًا!!

●●●

www.ibtesama.com/vb

٢

اللا رجـل..

●● قد تحب المرأة رجلاً بسيطًا لا يثير إعجاب كثير من الناس . . ولكنها هى الوحيدة التى ترى مواطن جماله الحقيقية .

●● وقد تحب المرأة رجلاً يجمع كل الناس على أنه شرير ، ولكنها هى الوحيدة التى تستطيع أن ترى إمكانية الخير داخله ، أى أنه مؤهل للخير .

●● ولكن المرأة لا تحب الكاذب ، ولا تحب الرجل الأنانى ولا تحب الرجل البخيل ، ولا تحب الرجل النرجسى ، ولا تحب الرجل الحسود الحقود ، ولا تحب الرجل العدوانى ، ولا تحب الرجل المغرور المتكبر المتعالى ، وكلها صفات مترابطة إن وجدت إحداها وجدت بقية الصفات الأخرى فى نفس الرجل .

●● وتشعر المرأة بمرارة إذا أوقعها حظها العاثر فى رجل يحمل هذه الصفات ، وتدرك أنها فقدت حياتها ، وإما تفر وإما تتحمل على مضض ، وتدريجياً تفقد أحاسيسها نحو الرجل . يصير فى عينيها لا رجل ، ويظن هو فى نفسه أنه الرجل ، وهذه هى المشكلة ، فهو لأنه لا رجل فى نظرها فهى لا تتوقع منه شيئًا ولا تستجيب له . ولأنه يتصور أنه الرجل فهو يتوقع منها كامل استجابة الأنثى .

www.ibtesama.com/vb

●● المرأة حلم حياتها أن تلتقى بالرجل الإنسان، تلتقطه من بين ملايين، هذا هو الذى يثير عواطفها وبالتالى يحرك مشاعرها الأنثوية فتنجذب إليه وتستميت فى الارتباط به والحفاظ عليه. هذا هو الحس الداخلى للأنثى، وبلغة العصر هذا هو ردار الأنثى الذكى المتحرك فى كل اتجاه دون أن يبدو عليها، تستوى فى ذلك العالمة المثقفة مع البسيطة الجاهلة، الأنثى هى الأنثى.

●● ولكن ما إن تشعر أن حسها الداخلى قد خانها وأن رادارها قد أخطأ حتى يسقط قلبها منها، وذلك حين تصطدم بكذبه وبخله وغروره ونرجسيته. ما إن تكتشف صفة واحدة من هذه الصفات حتى تتأكد أن بقية الصفات موجودة فى نفس الشخص، هنا يتراجع بسرعة إحساسها بإنسانيته ومن ثم يتراجع إحساسها برجولته.

●● وإذا بخضوع المرأة المعروف عنها حينما تحب يتحول إلى رفض وعناد وعدوانية وتحد وقدرة هائلة على الاستفزاز يقشعر بدنها إذا لمسها، وتثور معدتها إذا اقترب منها، وتتقلص عضلاتها إذا جاء بجانبها، وتفقد الإحساس تمامًا.

●● وتتعقد المشاكل، وقد لا تدرى أنها لا تحبه، وقد لا تدرى لماذا لا تحبه. ولكن تدرى فقط أنها مستفزة منه، وأنها تستريح نسبياً إذا استفزته، وهو لا يعرف سببًا لهذه المشاكل المستمرة والمضنية. لأنه لا يعرف أنها لا تحبه، فهو يعتقد أنه مؤهل لأن تحبه أى امرأة

www.ibtesama.com/vb

فهذا هو شأن الذى يكذب، لأنه يكذب أولاً على نفسه، وهذا هو شأن المغرور والنرجسى.

●● والمرأة معذورة لأن هذه الصفات إن وجدت تتناقض مع الرجولة الحقة، فالكاذب ضعيف، والمغرور لديه نقص شديد فى إحساسه بذاته، والنرجسى ليس لديه مساحة حب وعطف الآخرين، وهذه الصفات لابد أن ينجم عنها صفة أخرى وهى العدوانية لتعويض مشاعر الضعف والنقص والجمود الوجدانى.

●● معذورة المرأة لأنها تفقد الإحساس برجولة الرجل حيث يصبح فى عينيها وفى قاع وجدانها وبيقين تفكيرها.. لا رجل.

●●●

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

٣

زوج بلا مواهب..

●● قد يكون الرجل محدودًا جدآ فى إمكانياته وقدرته . أى بلا مواهب، لا شىء يميزه، لا يلفت الأنظار ولا تستدير ناحيته الرؤوس .

● لا يتمتع بأى وسامة، أى متواضع جدآ فى شكله الخارجى وجهًا وجسدًا .

● متواضع فى مظهره، ثيابه بسيطة، وربما غير متناسقة بعضها البعض .

● متواضع فى درجة تعليمه، وبالتالى فى مكانته الوظيفية، لا يتمتع بطموح كبير، غير براق وغير لامع فى موقعه؛ ولكنه واحد من ضمن ملايين القوى العاملة .

● وهو متواضع أيضًا فى درجة ذكائه، من الممكن أن تقول إنه متوسط الذكاء، ومتوسطو الذكاء يمثلون ٦٠٪ من مجموع أى شعب، وهذا الذكاء المتوسط لم يتح له فرص الوثوب اجتماعيّاً ووظيفيّاً، وهذا الذكاء المتوسط لم يتح له فرص اغتنام الفرص أو خلق الفرص، ولم يتح له أن يتنبه إلى الوسائل العصرية أو مقتضيات العصر الممكنة التى تتيح لمن يتنبه إليها أن يحسن من نفسه وأن يرقى وأن يرتفع وأن يتطور .

www.ibtesama.com/vb

● ولكل ما سبق فهو محدود فى إمكانياته المادية، فهو لم يرث عن أسرته أى شىء، فهو من أسرة متوسطة الحال جداً، ولم يهتم كثيراً فى أى وقت من الأوقات أن يجمع مالاً، لم يبحث عن الطرق والوسائل لم يكن من أحلامه أن يصير غنياً، لم يجر ريقه على الأشياء الثمينة فى الحياة، ولم يؤرقه أن يمتلك الآخرون مثل هذه الأشياء الثمينة.

● ولم يكن يمتلك أى موهبة خارقة أو خبرة، وبالتالى لم يستطع أن يكون بطلاً رياضياً أو عالماً موسيقياً أو كاتباً مؤلفاً أو ممثلاً، كان إنساناً عادياً جداً.

● وإذا أردنا باختصار أن نعطيه درجة فى السلم الاجتماعى الوظيفى المادى الشكلى فإنه لا يزيد على ٥/ ١٠ أو ٦/ ١٠.

● كان انطوائياً، ولكن كان له عالمه الداخلى، فلديه شعور عميق بالأشياء من حوله ولكن يتجاوب وجدانياً بالقدر الكافى والملائم من فرح وحزن وألم وشفقة وعطف وأسى وندم. شعر بحزن هائل يوم مات أبوه، ويوم مات عمه، فقد شهيته للطعام واضطرب نومه مالا يقل عن أربعين يوماً، وشعر بنفس الحزن يوم مات ابن جاره فى حادث، بل ربما كان أكثر حزناً من جاره صاحب المصيبة ذاتها، واستمر حزنه وقتاً طويلاً، وشعر بفرح طاغ يوم انتصار فريق الكرة المصرى على منافسه فى مباراة دولية. ليلتها لم ينم من شدة الإثارة، وشعر أيضاً بفرح هادئ يوم

www.ibtesama.com/vb

تصالح جاران فى نفس البيت الذى يعيش فيه خصام طويل، وسر خاطره حين علم أن شقيقه الأصغر استطاع أن يشترى سيارة بعد عودته من الإعارة.

وكان يتألم بصمت حين كان رئيسه يتجاهله فى المكافآت والحوافز ويقلل من درجته فى التقارير السرية، وكان يتألم أكثر حين يصدر تصرف خبيث من أحد زملائه يقصد به الدس والوقيعة والإساءة، ولم يكن يرد على هذه الإساءات لأنه كان قد وصل إلى اقتناع أنه لا جدوى ولا فائدة. وأن أحدًا لا يتغير. وكان يدعو لهم أحيانًا بالهداية والمغفرة.

● أما أعظم المشاعر فقد كان يحملها لأسرته وخاصة أمه العجوز المريض والتى كانت تعيش معه بعد وفاة أبيه، كان يسهر على رعايتها لا ينام قبل أن يطمئن لنومها، ولا يأكل إلا بعد أن يطعمها، ولا يشترى لنفسه أى دواء أمر به طبيب إلا بعد أن يشترى كل أدوية أمه التى تحتاجها شهرياً بشكل منتظم. وكان لا يشترى لنفسه أى ملابس وخاصة فى الشتاء إلا بعد أن يطمئن أن أمه تنعم بالدفء الكامل، وكان يفعل نفس الأشياء تقريبًا مع شقيقته التى تزوجت من رجل رقيق الحال يصنف مع المعدمين، ولذلك كانت أسرة شقيقته معرضة دائمًا لأزمات اقتصادية طاحنة وخاصة حين يمرض أحد أبنائها. . ولذلك لم يكن يتبقى معه من مرتبه الشهرى إلا مبلغ ضئيل جداً كان يحرص على توفيره

www.ibtesama.com/vb

تحسبًا لأى أزمات مفاجئة، وخاصة أنه كان يكره جداً أن يضطر للاقتراض وكانت فكرة الاقتراض تزعجه جداً، كان دائم الدعاء بالستر.

- ورغم ميله المعتدل الذى يتناسب مع شبابه ناحية الجنس الآخر إلا أنه كان يغض البصر فى كل موقف وخاصة فيما يتعلق بجيرانه وزميلاته فى العمل، كان يعرف كيف يكبح جماح رغباته وكان يتغلب على مثل هذه الأحاسيس بالإكثار من الصلاة والصوم.
- إلا أن فكرة الزواج كانت تشغل باله فى كل وقت، حنين غريب لأن يتزوج وأن يعيش مع امرأة هى زوجته وأن ينجب منها بنات وصبيانًا، وأن يكون مسئولا عن هذه الأسرة، لم يكن حنينًا للمرأة وإنما حنين للزوجة، ولم يكن حنينًا للجنس، حنينًا للسكنى إلى زوجه، حنينًا لتبادل الرحمة والمودة مع امرأة صالحة. وأدرك أن مشاعره هذه نظرية، شعر أنه خلق ليعيش مع أسرة، زوجة وأطفال، شعر أن هذا هو حلم حياته، لم يطمع فى مركز أو جاه أو سلطان أو مال، لم يعر هذه الأشياء أى اهتمام ولم يكن يرى أنها تساوى أى شىء، بل كان يعتقد اعتقادًا راسخًا أنها أشياء لا قيمة لها، وأما ما يساوى حقاً، أما الذى له قيمة كبيرة فهو أن يكون للإنسان أسرة.
- وكانت شروطه فى الزوجة مقاربة أو مطابقة لأى إنسان، إذا كان يتمنى أن تشعر بقيمة وأهمية الزواج والأسرة، وأن تحبه وأن تقدر

www.ibtesama.com/vb

مشاعره، وأن تكون نعم السكن، وأن تبادله المودة والرحمة وأن يتعاونا معًا ويتشاورا، فى الحلوة والمرة، وأن تكون طيبة وهذا معنى يشتمل على أشياء كثيرة فى نظره، وأن تكون عارفة بربها مصلية صائمة مزكية، وهذا فى تقديره يعنى أن تكون فاضلة ويضمن أن تكون مخلصة، ولكن أهم شروطه فى الحقيقة هو أن تقبل أمه وترعاها وترحمها.

●● ومقابل ذلك كان يتعهد أمام الله أن يكون هو أيضًا نعم الزوج حبًا وعطفًا وحنانًا ومساندة ومشاركة واحترامًا وسماحة وتحملاً للمسئولية وإخلاصًا لها مدى الحياة.

●● ولكن العين بصيرة واليد قصيرة.

●● وتقدم به العمر قليلاً حتى استطاع أن يجمع مبلغًا متواضعًا من المال.

●● وبدأ فى اتخاذ الخطوات العملية الفعلية، وكانت البداية أن ينشرح صدره لفتاة، ليس لجمالها وإنما انشراح ربانى نورانى مثلما يدعو الإنسان ربه أن يشرح صدره، إنه إحساس شامل بالرضا والسرور والقبول والإقبال والحماس، ثم بعد ذلك يطمئن إلى أهلها وخلقها، ثم يتوكل على الله ويأتى البيوت من أبوابها.

●● ورفض فى مرتين، واهتزت ثقته بنفسه، وأصابه بعض اليأس، وكف عن البحث، وطرح حلمه جانبًا، وظن أنه لن تقبله فتاة فى ظل ظروفه المحدودة شكلاً وموضوعًا.

www.ibtesama.com/vb

●● والحقيقة لابد أن نوضحها أنه لم يكن النموذج الذى يعجب أى فتاة، فهو محدود فى كل شىء، ولم يكن أحد يعرف أى شىء عن عالمه الداخلى وعن عالمه الخاص، فقط الناس يعرفونه بصورته الظاهرية، وهى صورة فقيرة متواضعة.

●● حتى أرسل الله من السماء فتاة جديدة لتعمل فى نفس مكان عمله، وكان بينهما تعامل ما يقتضيه العمل، وإذا به يجد - ولأول مرة فى حياته- أن هذه الفتاة تتحرك ناحيته، هكذا أخبره إحساسه الداخلى، واندهش. فقد كان يعرف قدر نفسه، أو عرف قدر نفسه أخيرًا وأنه من المستحيل أن يثير انتباه أى فتاة. ولكن هذه الفتاة انجذبت إليه بشدة، بالرغم من أنها كانت على مستوى معقول من الجمال والمظهر والذكاء والكفاءة، ومن الممكن أن تشد انتباه أى شاب يفوقه فى أشياء كثيرة.

●● أى شىء شدها إليه!! أى سر فيه!! أى موهبة خفية!! أى جمال دفين!! أى إمكانيات مخزونة، أى طاقات، منه!!

●● وانشرح صدره وتجرأ، وطرق الباب، وقالت له: هذا أسعد يوم فى حياتى..

●● وبعد سنوات من زواج سعيد تجرأ للمرة الثانية وسألها أى شىء أعجبك فىّ؟؟

www.ibtesama.com/vb

●● قالت: كل شيء، لقد استطعت أن أرى الإنسان داخلك، استطعت أن أصل إلى جوهرك، استطعت أن أنفذ إلى روحك، استطعت أن أصل إلى أعمق أعماق ذاتك وأن ألمس جوهر وعيك، وأحسست أنك أيضًا استطعت أن تصل وتنفذ إلى جوهرى وأن تلمس ذاتى وأن تحيط بروحى. حدث انكشاف جوهر كل منهما للآخر، فتحولت فى عينى إلى كيان نورى يفيض بالجمال والخير والبركة، فأحسست بالطمأنينة، وأكدت الأيام صدق أحاسيسى، فوثقت بك، وأدركت صدقك، وشغفت بك، وتمنيت أن أكون زوجة لك وأن تكون زوجًا لى. تمنيت أن تسكن عندى وأن أمنحك حبى، مودتى، رحمتى، أن أعطيك، أن أرعاك، فأنت تستحق.

●● ومع الزواج من هذه الإنسانة الصالحة تكشفت قدرات طيبة لهذا الرجل الصالح؛ فتحمل مسئولية الحياة بجدية وإخلاص. كان راعيًا أمينًا وشريفًا وكان كريمًا، وكان مخلصًا، وكان أيضًا حازمًا فى توجيه زوجته والحفاظ عليها وحمايتها.

●● ورغم قسوة الحياة وصعوبتها لم يضعف قط، لم يمد يده إلى المال الحرام، كافح بشرف وعناء، وبارك الله فى القليل، وكانت الزوجة راضية قنوعًا.

●● ومنحها حبًا لم تكن تحلم به من أعظم مؤلفى الروايات العاطفية، وكان حبه هو حنانًا مكثفًا وعطفًا زائدًا واحتواء

www.ibtesama.com/vb

شديداً، هكذا لفرطته وعفويته وشغفه بها وميله الطاغى إليها واحترامها وتقديرها والأحساس بروعتها فى كل شىء.

●● عاشا الحياة بحلولها ومرها، وأنجبا صبياناً وبنات، وواجها صعوبات كثيرة وأزمات طاحنة، ولكن إجمالاً سعدا بحياتهما، وتحقق حلم كل منهما، حلم الأسرة، وهو حلم كل إنسان نقى. حتى وإن كان بلا مواهب.

●●●

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

٤

رجل ضعيف وامرأة قوية

يشكو رجل من أن زوجته عنيفة، جادة، عصبية، عنيدة، متسلطة. وقد يكون أكثر تحديدًا فيقول إنها تريد أن تمارس دور الرجل فى البيت، ولا أحد يعرف هل هو يشكو من قوة زوجته أم من ضعفه هو؟ وهل ضعفه نتيجة لقوة زوجته أم أن قوة زوجته هى نتيجة لضعفه هو؟ هل هو صراع بين قوتين؟ وأين تكمن هذه القوة؟ هل هى قوة الشخصية . . ؟ وهل هناك ما يسمى بقوة الشخصية . . ؟ أم هو الفرق فى القدرات الذكائية حيث تتفوق زوجته عليه فى الذكاء . . ؟

●● الرجل يشكو ويتألم لأن المفروض شىء والواقع شىء آخر. والمفروض أنه هو الذى يجب أن يقود ويحكم ويسيطر، وأن كلمته يجب أن تطاع وأن الزوجة يجب أن تكون خاضعة مطيعة مستسلمة.

●● وتضطرب الحياة الزوجية اضطرابًا شديدًا ولكنها تستمر. وتزداد الزوجة سيطرة وتسلطًا ويزداد الزوج ضعفًا ورضوخًا.

●● وهذا نموذج أسرى نراه فى الحياة، ربما ليس كثيرًا ولكنه موجود.

www.ibtesama.com/vb

●● ولا صراع يبدأ منذ اللحظة الأولى فى العلاقة . وهو صراع طبيعى ويتم بشكل تلقائى، صراع بين شخصيتين وصراع بين عقلين يتمتع كل منهما بدرجة معينة من الذكاء . يبدأ الصراع فى قمته حيث الخوف والقلق والتوقع والترقب والتحفز والتحسب، صراع بين قوتين عليهما أن تذوبا وتتحدا وتتوحدا وفى نفس الوقت يحب كل منهما أن يحتفظ بتفرده واستقلاليته وحريته وإرادته .

والأمور منذ البداية تسير بشكل طبيعى وتلقائى . أى لا يستطيع أحدهما أن يخطط . فالإنسان وهو يؤدى دوره الذكرى أو دوره الأنثوى لا يكون مدركًا أنه يؤدى هذا الدور، فالطبيعة أو التكوين يملى بعض جوانب هذا الدور، وكذلك طبيعة البيئة والمجتمع والثقافة السائدة تملى أيضًا بعض جوانب أخرى لهذا الدور .

●● وفى كل المخلوقات هناك ذكر وأنثى . والتكوين الشكلى الخارجى وكذلك التكوين الداخلى لكل منهما يختلف عن الآخر، وأيضًا سلوكيّاً يختلف كل منها عن الآخر . ولذلك فإن تعدى أحدهما على الآخر يؤدى إلى خلل فى العلاقة، والتعدى بمعنى التعدى على الدور والانتقاص من دور الطرف الآخر . وهذا يزعج الرجل جداً على وجه الخصوص حيث يشعر أن المرأة القوية تنتقص من دوره الرجولى .

www.ibtesama.com/vb

●● والحقيقة أن المسئولية قد تقع على عاتق الرجل فى البداية. فهو الذى يحدد للمرأة حدود دورها. فالمرأة إذا وجدت أمامها مساحات مفتوحة بلا حدود فإنها توغل فيها، فهى لا تعرف حدودًا تقف عندها وذلك لتقاعس الزوج عن تأدية دوره إما لعيوب فى شخصيته وإما لتواضع فى ذكائه بالنسبة لزوجته التى تفوقه ذكاء. وإما لنقائص معينة يشعر بها تجعل المرأة أكثر تفوقًا فى الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو التعليمية أو الاقتصادية أو كل هذه الأشياء مجتمعة.

●● إذن هو صراع بين قوتين، ومنذ البداية يحدد كل منهما الحدود، والرجل يتحمل المسئولية الأولى؛ إذ المرأة فى البداية ترقب وتلاحظ وتختبر، كل ذلك بفطرتها، وأى حق يتنازل عنه الرجل تكسبه هى، وأى مساحة يتركها الرجل تقفز إليها. أى يتنامى دور الزوجة على حساب تراجع دور الرجل. حتى نصل إلى مرحلة الخلل الشديد، والرجل يشكو ويتألم ولكنه عاجز، والعجز ينبع من داخله، وكذلك المرأة تكون غير راضية لأن ذلك يتنافى مع الطبيعة الأنثوية الخالصة، فهى غير سعيدة بقوتها التى نشأت على حساب ضعف زوجها. فهى لا تحب لزوجها أن يكون ضعيفًا ولا تحب لنفسها أن تكون قوية على حساب ضعف زوجها.

●● والحقيقة أن القضية ليست ضعفًا وقوة وإنما هى أدوار ومسئوليات وحدود ومساحات. والقوة بمعنى التعدى على

www.ibtesama.com/vb

حدود الدور الآخر، والضعف بمعنى الانسحاب من الحدود الطبيعية للدور والسماح للطرف الآخر بالتجاوز.

●● إذن الرجل غير سعيد بضعفه.

●● والمرأة غير سعيدة بقوتها.

●● وهذه ظروف غير صحية لتنشئة الأولاد والبنات حيث يحدث تشوش فى أذهانهم لدور كل منهم فى الحياة، ويكون الزوج نموذجًا فاشلاً للتوحد الذكرى وتكون المرأة، أى الزوجة، نموذجًا فاشلاً للتوحد الأنثوى.

●● وكما أن الرجل هو المسئول الأول عن هذا النموذج الأسرى الفاشل، فإن المرأة أيضًا قد تكون هى المسئولة الأولى فى بعض الأحيان. إن هناك شخصية تتميز بالصلابة والعند وعدم المرونة وروح التحدى وحب السلطة والتسلط، وخاصة إزاء الرجل. هذا تكوين خاص، وربما هو تكوين أقرب إلى الطبيعة الذكرية. وهذا أمر يمكن تصوره من الناحية العلمية حيث يحدث خلل ما غير معروف حتى الآن فتولد فتاة بتكوين أنثوى فسيولوجى هورمونى كامل وتنمو كامرأة كاملة ولكنها تحمل فى طياتها -نفسًا وعقلاً وإحساسًا- تكون رجل. فهى امرأة من الناحية الشكلية الفسيولوجية، وهى رجل من الناحية النفسية العقلية. هذه المرأة تشعر بمرارة شديدة لهذا الانقسام الذى تعيشه، وهى فى قراراتها تتمنى أن تصبح رجلاً، ولكنها

www.ibtesama.com/vb

لا تستطيع. ومطلوب منها أن تؤدى دور الأنثى، ولكنها تكره ذلك، ولذلك فهى تحقد على الرجل، ولكنها مضطرة أن تتزوج، وأن تحيض كل شهر، وأن تحمل لابد فى داخلها رحمًا، وأن تصبح أمًا، وأن ترضع الوليد أو تكون مسئولة عن إطعامه، وهكذا. أى أنه مفروض عليها دور الأنثى التقليدى، وهى تكره وترفض هذا الدور، وترنو بعينها إلى دور الرجل. ولذلك تنازعه فى دوره تبغى، تعتدى، تزاحم. . وتكون مؤهلة فعلاً من الناحية النفسية لأن تؤدى دور الرجل. ونقتحم كل مجالات الرجل. ويكون ذلك على حساب التقصير فى أداء دورها الأنثوى إذ لا يمكن لإنسان أن يؤدى الدورين معًا بكفاءة عالية، وهذه المرأة إذا تزوجت رجلاً حقيقيًا ينشأ صراع حاد ومرير منذ اللحظة الأولى للزواج. وغالبًا هذا الزواج ينتهى إلى طلاق، فالرجل الحقيقى لا يستطيع أن يتراجع عن أداء دوره، ولا يسمح لزوجته أن تتعدى حدود دورها الأنثوى، بل لا يرضى أن تقصر فى أداء هذا الدور. ولذلك يحدث الانفجار ثم الطلاق.

●● هذه المرأة لكى تستمر حياتها كزوجة فإنها تحتاج إلى رجل متواضع فى قدراته، رجل يقبل منذ اللحظة الأولى أن يتراجع عن أداء دوره بالكامل بل هو لا يستطيع أداء هذا الدور، ولذلك فهو يحتاج إلى امرأة قوية، أو امرأة أكثر ذكاء منه، أو امرأة أكثر

www.ibtesama.com/vb

قيمة منه. ويلعب هو دور التابع ويتنازل برضا عن دور الرجل الأول، غير سعيد، وغير راض، ودائم الشكوى، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا، بل هو لا يريد أن يفعل شيئًا، وتستمر الحياة. وكذلك تكون هذه المرأة غير راضية، فهى منقسمة على نفسها، فهى ليست امرأة بالكامل، وليست رجلاً بالكامل. وكم تتمنى أن تصبح رجلاً لتمارس دورها الحقيقى، أو كم تتمنى أن تصبح أنثى بالكامل وتمارس الدور الأنثوى الحقيقى. ولذلك فهى تحسد الرجال، وهى أيضًا تحسد النساء الحقيقيات وخاصة المتزوجات من رجال حقيقيين.

●● ومن الصعب أن ترجع القضية كلها وبرمتها إلى خلل فى التكوين الفسيولوجى. فتقول ببساطة إن هناك رجلاً غير كامل وبالتالى غير مؤهل لأداء دوره الذكرى بالكامل، وأن هناك امرأة غير كاملة، وبالتالى غير مؤهلة لأداء دورها الأنثوى بالكامل. من الصعب أن نبسط الأمور إلى هذه الدرجة وخاصة أنه لا توجد دلائل على المستوى المعملى البحثى تثبت هذا الرأى. ولكنه مثبوت على المستوى الإكلينيكى.

●● ولكن هناك عوامل بيئية ثقافية أخرى تشكل حدود الأدوار وتشكل طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة وتحدد النظام الأسرى والتفاعلات داخله. ويمكن القول أن هناك مجتمعات ذكرية، بمعنى أنها تُعلى الدور الذكرى وتعطى للرجل المسئولية الأولى

www.ibtesama.com/vb

وحق القيادة والقوامة والرعية . وهناك مجتمعات أنثوية وهى التى استطاعت فيها المرأة أن تثور وتصرخ على أولوية الدور الذكرى وأحقيته السلطوية واستطاعت أن تنازعه هذه المكانة بدعوى المساواة إن لم يكن التفوق عليه إذا كانت تملك من الوسائل والإمكانيات والمواهب ما يجعلها تتفوق حتى وإن كان ذلك على حساب الشكل الأسرى التقليدى التراثى . حتى وإن دفعها ذلك إلى التضحية بحياة الأسرة وتفضيل حياة الوحدة والحرية بدلاً من أن تخضع لرجل .

●● وفى النهاية لا يصح إلا الصحيح ، ولكن ما هو الصحيح؟

●● الصحيح هو مجرد افتراضات نظرية على الورق ومن وحى الخيال والتصور الشخصى البحت .

●● ولكن الصحيح الواقعى العملى الحياتى هو أن كل علاقة بين زوجين هى علاقة خاصة جداً . كل علاقة لها ظروفها الخاصة وطبيعتها الخاصة التى تمليها الصفات الشخصية لكل من الزوجين حيث اختلافات الشخصية ، حيث اختلاف درجة الذكاء وحيث الموروثات البيئية الثقافية . كل إنسان متفرد بذاته ، وكل علاقة زوجية متفردة بذاتها ، وكل زوجين يتوافقان معًا حسب درجة الذكورة ودرجة الأنوثة فى كل منهما . التكوين الذكرى الكامل سيسمح للأنثى أن تعرف حدود دورها وتؤديه برضا وتسعد بهذا الدور وتسعد برجولة زوجها

www.ibtesama.com/vb

المتكاملة، والتكوين الأنثوى الكامل السوى سيسمح للرجل بأن يؤدى دوره بالكامل ويسعد به وبذلك يتحقق انسجام وتكامل وتوافق لا يمكن أن يتحقق إلا للأسوياء.

●● ونعود إلى صديقنا الرجل الذى يشكو من قوة زوجته وعنفها وتسلطها فنقول له:

- الشكوى بعد هذه السنوات الطويلة من الزواج تعنى أنك لا تستطيع الانفصال عنها، لقد استمرت حياتك لأنك أردت الاستمرار، ولو كانت اعتراضات حقيقية لكنت قد أنيهت العلاقة منذ البداية. بل لعل زوجتك بتسلطها وعنفها واستبدادها تلبى احتياجات نفسية معينة عندك، أنت راض ولكنك تعترض، واعتراضك باللسان فقط، فاستمر لأنك لا تستطيع أن تغير حياتك بل أنت لا تريد حقيقة أن تغير حياتك. وربما لو أتينا لك بزوجة مطيعة مسالمة خاضعة لما استطعت أن تؤدى معها الدور الذكرى الكامل ولما استطعت أن تلغى دور الرجل الأول، فهكذا أنت، وهكذا زوجتك.

●● إن طبيعة العلاقة الزوجية تتحدد منذ اليوم الأول، أى منذ البداية، والطبيعة بكل أشكالها هى طبيعة سوية، والشذوذ هو الاستثناء فى كل صباح تشرق الشمس وفى المساء تغرب، ويظهر لنا القمر، ويتعاقب الليل والنهار، وتهطل الأمطار، وتنمو الزهور، وتهب النسائم الرقيقة، أما العواصف

www.ibtesama.com/vb

والزلازل والبراكين فهى استثناءات شاذة .

وفى كل لحظة يلتقى ذكر وأنثى ، يتحابان ، ينجذبان ، يتزوجان ، وتسعد الأنثى بأنوثتها ، تعشق دورها ، تنتشى وتتلذذ بأداء هذا الدور . هكذا بفطرتها السوية ، وكذلك يزدهى الرجل ويتحمس ويقوى لأداء دوره الذكرى ، يظلهما سقف ، ويغلق من دونهما باب ، ويضجعان معًا ، فينجبان ، ويسعدان بقدرتهما على أن يهبا الحياة حياة ، ويعطف الرجل على زوجته ، وتحنو هى على زوجها ، وتسود بينهما المودة والرحمة ، شىء أسمى من الحب ، شىء فوق الحب .

●● أما الاستثناء . والاستثناء النادر جدآ هو زوجة سليطة اللسان غليظة القلب جافة العقل ، ورجل مكسور الجناح ضعيف الحيلة محدود فى إرادته وربما محدود فى رجولته ، ويستمران ، لأنهما هكذا ينسجمان ، ولكنه انسجام الشواذ .

●●●

www.ibtesama.com/vb

٥

نقص الرجل وتفوق المرأة

●● تفوق المرأة على الرجل اقتصادياً أو علمياً أو مهنياً أو اجتماعياً من المواضيع الحساسة التى تحتاج إلى تناول دقيق ورقيق وبحساسية خاصة، حيث إن هناك زيجات ناضجة (بمعنى أن الطرفين سعيدان) رغم تفوق المرأة، وهناك زيجات فاشلة (بمعنى تعاسة الطرفين) برغم تفوق الرجل. إذن نجاح أو فشل الزواج لا يتوقف بالدرجة الأولى على تفوق المرأة أو تواضع إمكانياتها أمام إمكانيات زوجها وخاصة أننا نتحدث هنا عن الإمكانيات المادية أساسًا، ولهذا فإذا قصرنا الدراسة على الإمكانيات المادية فسنجد أنها لا تؤثر كثيرًا على التوافق الزواجى، وأن الزيجات التى تفشل بسبب التفوق المادى للزوجة يرجع الفشل فى النهاية إلى أسباب نفسية متعلقة بالتكوين النفسى للزوج، ويكون التفوق المادى هو القشة التى قصمت ظهر البعير أو هو السبب فى تفجير الصراعات النفسية التى يعانى منها الرجل وخروجها إلى السطح وإطاحتها بسعادة الزوجين.

●● أما إذا تطرقنا إلى مجالات التفوق فى الذكاء والشخصية والثقافة فإننا سنجد حالات خلل حقيقية وخاصة إذا كان التفوق والتميز فى صالح الزوجة. إذن التفوق المادى يحتل

www.ibtesama.com/vb

مرتبة ثانوية فى الأهمية، وتأثيره على الزواج محدود، وهذا التأثير راجع لمشكلة عند الزوج؛ فأحاسيس النقص ليس بالضرورة أن تكون حقيقية، ويمكن أن يكون مبالغًا فيها. وقد لا يكون هناك أى نقص، بل الزوج هو المتميز والمتفوق فى كل المجالات ولكنه بالرغم من ذلك يشعر بالنقص، وهذا الشعور بالنقص هو الذى يتحكم فى سلوكه تجاه زوجته وموقفه منها. يحدد أفعاله وردود أفعاله ويجعله حساسًا إلى درجة تجعل التعامل التلقائى معه صعبًا. والحساسية بمعنى التأثر بدرجة عالية لا تتناسب مع حجم أو موضوع المؤثر أو المثير وكذلك رد الفعل الحاد المبالغ فيه والذى لا يتناسب مع الموقف.

● **والسؤال الذى يقفز إلى الأذهان منذ البداية هو: لماذا يقدم الرجل على الزواج من امرأة أكثر تفوقًا وتميزًا منه..؟**

●● ولكن قبل هذا السؤال، أتصور أنه يجب أن يكون هناك سؤال آخر وهو: من أين جاء الافتراض أو التصور أن الوضع الصحيح هو أن يكون التفوق والتميز لحساب وصالح الرجل؟ أى أن الوضع الطبيعى هو أن يكون الزوج متميزًا على زوجته فى كل أو معظم المجالات. أى يأتى هو فى المرتبة الأولى وتأتى هى فى المرتبة الثانية.. ولماذا الافتراض؟.. إنه إذا حدث العكس، أى تفوقت المرأة، فإن المتوقع لهذا الزواج أن يفشل أو أن تواجهه صعوبات شديدة؟

www.ibtesama.com/vb

● وإجابة على السؤال الثانى قبل السؤال الأول نقول: إن هذا تراث، تراث من الصعب أن نرجع إلى أصله وبداياته، ولا نستطيع أن نرجع إلى أسبابه، تراث يملى ويفرض أن يكون الرجل متفوقًا أو على الأقل مساويًا لإمكانيات زوجته. ولا ندرى هل هذا التراث بسبب أن الرجل كان متفوقًا منذ البداية، أى أن هذا هو أصل الحكاية، أصل الخلق، وذلك لأن للرجل دورًا معينًا يجب أن يؤديه فى الحياة وأن يؤديه تجاه أسرته وتجاه زوجته. وأنه لا يتاح له أن يؤدى هذا الدور بكفاءة وفاعلية إلا إذا كان متفوقًا ومتميزًا فى مجالات معينة وأن خللاً شديدًا يحدث فى الحياة، ويحدث فى العلاقة الزوجية إذا كان التفوق فى هذه المجالات كان لصالح المرأة!!

●● ليس أمامنا إلا أن نقبل هذا الافتراض الذى يتعلق بدور الرجل والذى شاهدناه يؤديه منذ بدء التاريخ المعروف لدينا.

●● وإذا تأملنا حولنا فسنجد أن الدور الذكرى متشابه فى معظم المخلوقات وأن الدور الأنثوى متشابه أيضًا فى معظم المخلوقات.

●● نعود إلى السؤال الأول: إذا كان هذا هو التراث المورث فلماذا يقدم الرجل وبإرادته على الزواج من امرأة تفوقه مالاً أو جاهًا أو علمًا أو ثقافة..؟

●● فى البداية قلنا إنه يجب أن نفرق بين الإمكانيات المادية المحضة وبين الإمكانيات الذكائية العلمية الثقافية..

www.ibtesama.com/vb

●● قبول الرجل أو إقباله على الزواج من امرأة تفوقه مادياً يرجع أحيانًا إلى أسباب تتعلق بالظروف الاقتصادية التى نعيشها. فالمرأة بإمكانياتها الاقتصادية الأفضل تستطيع أن تتيح لهذا الزواج أن يتم وتستطيع أن توفر حياة أفضل وأمتع على المستوى المادى الحسى، وبعض الرجال لا يمانعون فى هذا، وبعض الرجال لا يستطيعون إلا هذا.

والتفوق المادى للمرأة قد لا يسبب عقبة فى توازن العلاقة بين الزوجين وخاصة إذا كان الزوج واثقًا بنفسه وإذا كان يملك إمكانيات أخرى تجعله أكثر تفوقًا، وبالتالى أكثر سيطرة على مجريات الحياة، كأن يكون متفوقًا فى علمه وذكائه وثقافته ووظيفته. النقص المادى فى هذه الحالة لا يجعله يشعر بأى عجز، إذن الأمر يعتمد على ثقة الرجل بنفسه، وبالتالى قدرته على أداء دوره الرجولى بالكامل، ويعتمد أيضًا على مدى إدراك هذه الزوجة لزوجها وإحساسها بأنوثتها الحقيقية أمام رجولته الحقيقية، وبالتالى فهى تشعر بتفوقها المادى، فالتفوق أو الإحساس بالعجز أحاسيس ليست مرتبطة بصورة مباشرة بالواقع.

●● ولكن الخلل فى العلاقة يحدث إذا شعر الرجل بعجزه وإذا شعرت المرأة بتفوقها. هذه الأحاسيس السلبية ستؤثر على إدراك كل منهما للآخر وستخلق درجة معينة من الحساسية تؤثر على موقف كل منهما من الآخر.

www.ibtesama.com/vb

●● وفى الأحوال غير الطبيعية قد يتزوج الرجل من امرأة غنية طمعًا وشرهًا وحبًا فى المال. وبالتالى يحقق طموحه المادى عن طريق امرأة. وقد يستغل عيوبًا معينة فى هذه المرأة فيشعرها أنه رضى بالزواج منها بالرغم من هذه العيوب وعليها أن تسدد الفرق من مالها. كأن تكون أكبر منه سنًا بدرجة كبيرة، أو تكون متواضعة الجمال ويناجر هو بشبابه وقوته ووسامته معها. إذن هو زواج مقايضة، وزواج طمع، زواج يعتقد فيه أحد الأطراف أنه هو الأقوى وأن الطرف الآخر هو الأضعف أو هو المحتاج أو هو المضطر، إنه زواج المنفعة وزواج الاضطرار وزواج الحاجة، وهو زواج محكوم عليه بالفشل منذ البداية، زواج يسبب جرحًا فى كل يوم، زواج يزداد فيه الألم والمرارة كل يوم.

●● أما حين يتزوج الرجل امرأة تفوقه علمًا وثقافة وذكاء أو تفوقه فى مكانتها الاجتماعية فهو يحتاج إلى هذه المرأة المتفوقة. يحتاج إلى امرأة أفضل منه، يحتاج إلى امرأة أقوى منه، يحتاج إلى احتواء هذه المرأة له، إنه رجل يحب أن يكون فى الوضع الأدنى، الأضعف يحتاج إلى أن يكون فى الظل، يحتاج إلى أن يشير الناس إلى زوجته. يحتاج إلى أن ينتسب هو إلى زوجته لا أن ينسب زوجته إليه. وهو نفس الرجل الذى يتزوج من امرأة مشهورة، فهو يحب أن يُقال عنه إنه زوج فلانة، أى يُعَرف بزوجته، هذه احتياجات نفسية وفنية فى الرجل تتعلق

www.ibtesama.com/vb

بطفولته وتنشئته وتتعلق بعلاقته بأمه . . ويلعب مثل هذا الرجل دورًا ثانويّاً وهامشيّاً فى حياة الأسرة . . فزوجته تتقدم عليه فى كل شىء، تسبقه فى التفكير وفى الرأى وفى التنفيذ. وهو لا يشكو، بل هو سعيد ومتوافق وهو الذى اختار منذ البداية.

●● وقد تكون الفروق بسيطة فى البداية بين الرجل والمرأة لحساب المرأة فى تفوقها وتميزها فى بعض المجالات، ولكن الظروف تشاء أن تتقدم المرأة بسرعة وتتفوق لذكائها وقدراتها الشخصية أو لموهبتها فى مجال معين، فتبرز علميّاً واجتماعيّاً وبالتالى اقتصاديّاً. بينما يظل الرجل فى موقعه أو يتقدم ببطء حسب قانون التطور الزمنى بينهما، فيشعر هو بضعفه، وتشعر هى بقوتها، وتشعر أيضًا بضعف زوجها. وهنا يحدث خلل شديد فى العلاقة، يحدث اضطراب فى إحساس الرجل بذاته، إحساسه كرجل. إحساسه كزوج، يفقد تدريجيّاً قدرته على السيطرة وقدرته على التحكم فى الأمور وتسييرها، تختل فى يده عجلة القيادة، يعقب ذلك خلل فى مشاعره تجاه زوجته، تختل صورتها الأنثوية، وبالتالى يتباعدان نفسيّاً، ويتباعدان عاطفيّاً. فالفراش الحقيقى لا يكون إلا لرجل حقيقى وامرأة حقيقية، وقد يفقد هذا الرجل قدرته الجنسية تمامًا تجاه هذه المرأة بالذات، وقد تعمق وتدعم وتعزز الزوجة هذه الأحاسيس السلبية نتيجة لحالة الزهو والقوة والسلطة والتفوق والشهرة

www.ibtesama.com/vb

التى تعيشها فى الخارج، أى خارج البيت، وقد يبدو زوجها فى عينيها ضئيلاً باهتًا محدودًا؛ فتتأثر مشاعرها هى نحوه، تفقد مشاعرها الأنثوية إزاءه، وتسىء معاملته، فيمتلئ البيت بالهواء السام، فينفصلان، أو يستمران تظلهما التعاسة والرفض والغضب والعداء الخفى أو الظاهر. . ويحاول الرجل أن ينتقم من زوجته ويعذبها بشتى الوسائل. وعدوانيته تكون بسبب إحباطاته، وتتعذب هى، ويتعذب هو أكثر، ويتشتت الأبناء لهذه الصورة الزوجية الأسرية الاجتماعية المهزوزة. ليتشتت ولاؤهم وليتشتت توجههم، ويتشتت إعجابهم، إنها حالة من الفوضى النفسية. الرجل رافض ولا يستطيع أن يتقبل وأيضًا لا يستطيع أن ينهض بنفسه ولا يستطيع أن يفعل شيئًا. والمرأة لا تستطيع أن تطلب منها أن تتراجع وتتنازل وتتخلى عن إنجازاتها التى حققتها بذكائها وعلمها وثقافتها وموهبتها.

●● إنه وضع صعب وشائك ولا حل له، إنه خلل فى النظام. والنظام جاءنا من التراث، والتراث له أصل من الحقيقة، وربما هو تعبير عن كل الحقيقة. حقيقة الرجل والمرأة ودور كل منهما فى الحياة وطبيعة العلاقة التى يجب أن تكون بينهما، والتوازن لا يأتى من تفوق أحدهما بالكامل وفى كل المجالات على الآخر. وإنما بأن يفضل الرجل المرأة فى مجالات متعلقة بأداء دوره وتفضل المرأة الرجل فى مجالات تتعلق بأداء دورها.

www.ibtesama.com/vb

فضل الله المرأة فى أشياء وفضل الرجل فى أشياء أخرى. وبذلك لا يتعارضان وإنها يتكاملان، وبذلك لا يشعر أحدهما بالنقص إزاء الآخر، وبذلك لا يتولى أحدهما الزهو إزاء الآخر، وإنما يشعر كل منهما بالاحتياج الصحى والطبيعى للآخر، هكذا فضل الله بعضهم على بعض. إنه التفضيل الذى يجعل أحدهما يحتاج الآخر ليتكامل معه وليكتمل به، إن كل واحد منهما وحده منفردًا غير مكتمل. منقوص مهما ملك ومهما اكتسب، ضعيف وحده، محدود وحده، ولا معنى لحياته وحده، فقط يكتمل ويشعر بالرضا والسعادة إذا التقى بالآخر وتزوج منه وعاش معه. وهذه حكمة الخالق عز وجل فى التفضيل، وهذا هو معنى الزواج، وهذا هو الهدف من الزواج، الزواج هو أن نعيش معًا حياة مستقرة ثابتة مستمرة خالدة. كل منا يكمل الآخر، كل منا يحتاج لوجود الآخر، كل منا لا يستطيع أن يعيش بدون الآخر، كل منا يحترم دور الآخر فى حياته. ولابد أن يقر فى ضمير كل منهما ووجدانه أنه لا سعادة ولا إشباع ولا رضا ولا طمأنينة ولا استقرار إلا فى وجود الآخر. ولا أن يشعر أحدهما أنه متميز على الآخر، ولا يشعر أحدهما بالنقص عن الآخر. ينطبق هذا على الرجل وعلى المرأة. اكتمال وتكامل لا مساواة.

●●●

www.ibtesama.com/vb

٦
رجل وامرأة

الزوج يرفض المبارزة، مع أنه من العار أن يهرب الرجل أو الفارس من النزال، المرأة تشهر سيفها والرجل يدسه فى غمده. . المرأة تكيل الاتهامات للرجل وتستفزه والرجل يبتسم بهدوء ويهز رأسه موافقًا ولكنه لا يريد أن يجادل.

●● المرأة تصرخ وتقول: أريد حريتى. والرجل يقول لها: حريتك معك، افعلى ما يمليه عليك ضميرك ودينك وقيمك وأخلاقك وتربيتك وتنشئتك.

وتصرخ المرأة ثانية وتقول: ولكن هذه قيم موروثة وأنا أريد حرية الثورة على الموروثات، وبنفس الابتسامة الهادئة يقول الرجل إذن قضيتك ليست معى ولكنها مع الموروثات ومع بقية النساء مع كل النساء منذ الخليقة وحتى الآن. لابد أن يكون الحوار بينكن لتصلن إلى أصل الحقيقة.

●● وتعود المرأة للصراخ وتقول: أنا ضد الرجل، أنا ضد أن تكون المرأة متاعا جنسياً للرجل. فيتساءل الرجل بدهشة: ومن قال ذلك؟ الجنس علاقة تبادلية تحتاج إلى شريكين يعبر كل منهما عن رغبته للآخر، لا يوجد قانون سماوى أو أرضى يجبر المرأة على أن

www.ibtesama.com/vb

تمارس الجنس مع زوجها بدون رغبة منها. هذه بديهية، ولا أتصور أنه توجد الآن أو حتى من ألف سنة امرأة واحدة تشكو من القهر الجنسى، هذه قضية نضالية زائفة عفا عليها الزمن. نريد ولو امرأة واحدة ترفع شكوى فعلية أنها تتعرض للقهر الجنسى من زوجها، إن المتعة الجنسية عند الرجل -على المستوى الجنسى البحت- ليست فى تحققه لذته، وإنما فى أن يرى تحقق اللذة فى عينى زوجته. أما على المستوى الوجدانى الإنسانى فإن متعة الرجل تصل إلى أقصاها بإقبال زوجته عليه بفيض من مشاعرها.

إن الجنس فى الزواج غير الجنس الذى تتحدثين عنه.

●● وتعود المرأة للصراخ ولكن هذه المرة بصوت عال جداً: وأعترض أيضًا أن تكون وظيفتى فى الحياة أن أكون أمّاً، أن أحمل وأن ألد. وجود الرحم داخل أحشائى لا يعنى أنه من الضرورى أن أستخدمه ليمتلئ بطفل.

وأجابها الرجل ولكن بيأس: ومن قال أنه لزامًا على كل امرأة أن تحمل وأن تلد؟ هناك وسائل لمنع الحمل قد تصل إلى حد ربط الأنابيب أو إزالة الرحم كلية، وهناك وسيلة أخرى وهى الامتناع عن ممارسة الجنس مع الزوج، وهناك وسيلة ثالثة وهى أكثر فاعلية وأكثر جدوى للنساء اللاتى يعترضن على دور الأمومة وهى ألا تتزوج على الإطلاق، لا أحد يمنع امرأة من ألا تتزوج، عدم الزواج يعطى المرأة الفرصة لتمارس تحقيق ذاتها. هذه الذات التى تتشوش

www.ibtesama.com/vb

حدودها ومعالمها إذا قصرنا دور المرأة فى الحياة أن تكون أمّاً، لا أحد يجبر المرأة على أن تكون أمّاً، ولكنها إذا ارتضت أن تتزوج رجلا يعيش فى هذا العصر فلابد أن تصل معه إلى اتفاق مكتوب أو غير مكتوب بشأن موضوع الأمومة وخاص قبل عقد القران.

ولكن وجود الرحم بين أحشاء المرأة هو فى الأصل من أجل الإنجاب.. ووجوده مبرر كاف للإنجاب، ولقد أوجده الله فى المرأة بالذات ولم يوجده فى الرجل. وحين خلقه فى المرأة جعل لها نظامًا هورمونيّاً خاصّاً يتحقق من خلاله الانجاب. والدليل على ذلك هذا النزف الشهرى، وإذا اعترضت المرأة على هذا النزف الشهرى الذى قد يعطلها عن ممارسة نشاطها على الوجه الأكمل فإنها تستطيع أن توقفه عن طريق تعاطى الهورمونات أو الأفضل عن طريق إزالة الرحم. ووجود الرحم فى أحشاء المرأة وعلى جانبيه المبيضان مثل وجود الخصيتان عند الرجل كمصنع للحيوانات المنوية ولهورمونات الذكورة. وإذا رأى الرجل أن دوره فى الحياة ليس فقط أن يكون أبًا فعليه فورًا المطالبة بجراحة الإخصاء ولكن حتمًا وبدون شك فإن وجود الخصيتين مكمل لدور الرجل فى الحياة وهو أن يصبح أبًا فى يوم من الأيام.

إن مبررات وجود الرحم هى نفس مبررات وجود العين. العين خلقت لنرى ولا نستطيع أن نقول أن وجود العين ليس مبررًا لأن نرى أو أنه لزامًا علينا أن نرى ومن لا يريد أن يرى فليفقأ عينيه

www.ibtesama.com/vb

ويريحنا. والحمل ليس رغبة شخصية بدليل أن كل النساء يتمنين الحمل، وفى أحوال نادرة جداً تصل إلى حد الشذوذ ترى المرأة حفاظًا على رشاقتها ألا تحمل لأن ذلك يتعارض مع طبيعة وظيفتها كراقصة، أو لأن الحمل سيعوقها عن تحقيق طموحاتها ومشاريعها. وهذه هى حريتها الشخصية، حريتها الشخصية هى بالذات، وليس من الحرية أن نفرض هذا الرأى على كل النساء، ليس من الحرية أن نرسخ مفهوم أنه لا علاقة بين الرحم والحمل، أو أن وجود الرحم ليس مبررًا لأن تحمل المرأة.

●● وتعود المرأة للصراخ بصوت لا تفهم كلماته من شدة ارتفاعه: وليس وظيفة المرأة أن تقوم على خدمة الزوج أو حتى خدمة أولادها، لا يجب أن ننظر إلى المرأة فى إطار أسرتها، المرأة يجب أن ننطر إلى ذاتيتها المتفردة خارج نطاق الأسرة. المرأة هى المرأة، المرأة هى الإنسان، لا أن ننسبها إلى زوج وأطفال وأسرة. وبالتالى فهى ليس لها أى مسئوليات خاصة تجاه الأسرة، مسئولياتها تجاه نفسها فقط، وهذا هو المعنى الحقيقى للحرية، أى الذات المستقلة.

فيعود الرجل ويقول وقد زال أساه وحل محله لا مبالاة: ومن قال أن كل امرأة يجب أن يكون لها أسرة؟ إن الحرية تبدأ وتتحقق عند نقطة الاختيار، هذا أحد جوانب الحرية، حرية الاختيار، اختيار من تحب. اختيار من تتزوج اختيار الزوج كأسلوب حياة أو

www.ibtesama.com/vb

كشكل للحياة، اختيار الأمومة اختيار الأسرة. ولكن حين تختار المرأة فليس من حقها أن تقول أنا شيء والأسرة شيء. فالأسرة نظام اجتماعى إنسانى تتم فيه علاقات وتفاعلات معينة، والمرأة تصبح جزءًا من هذه العلاقات والتفاعلات جزءًا من نسيج لابد أن تتداخل خيوطه وتتقاطع، ولكن بلا شك فإن استقلالية ذاتها تتحقق بصورتها الأكمل إذا قررت عدم الأسرة.

ولا شك أن أى إنسان يعيش وحده فى جزيرة مهجورة يتحقق له فيها الشعور بالذاتية المطلقة بل من الصعب أن تكون مطلقة حتى فى هذه الجزيرة المهجورة إذا كان فيها حيوانات وطيور وحشرات فعلية، حينئذ عليه أن يتعامل مع هذه الكائنات الحياة مما يقلل من حدود إحساسه بذاتيته واستقلاليته، بل عليه أن يتفاعل مع النباتات الموجودة أيضًا ومع الطبيعة من حوله من ليل ونهار وأمطار وعواصف. إن الإحساس بالاستقلالية والإحساس بالذاتية إحساس نسبى، وأى إنسان ولد فى أسرة حتى وإن ولد فى أسرة ورموه بعد ذلك فى الشارع فإن أحدًا سيلتقطه ويأخذه فى أسرة أو سيدفع به إلى ملجأ لليتامى لكى يعيش رغمًا عنه فى السياق الاجتماعى؛ ليصبح جزءًا من النسيج الاجتماعى.

ويحتاج الإنسان فى داخل السياق الاجتماعى إلى نوعين من تحقيق الذات: ذاته المتفردة وذاته الذائبة فى الجماعة. الإحساس فقط بذاته المتفردة معناه الشعور بالنبذ والرفض من الجماعة.

www.ibtesama.com/vb

والإحساس بذاته الجماعية معناه ضياع الهوية الشخصية. وهكذا فى نطاق الأسرة لابد أن يشعر بذاته المتفردة القادرة على التفاعل الإرادى الاختيارى التلقائى الحر مع بقية أفراد الأسرة. وفى نفس الوقت مادام -اختيارًا- عاش مع الأسرة فإنه يحتاج إلى أن يذوب داخل هذه الأسرة فى كيان واحد فيشعر أنه هو الأسرة. أى أنهم هم جميعًا الأسرة، شىء واحد لا أشخاص منفصلين، وليست هذه موروثات اجتماعية أملاها التاريخ والتراث ولكنها فطرة الإنسان، أما الإنسان المريض البارنويد الاضطهادى الأنانى النرجسى المغرور المتعالى المنتفخ بجنون العظمة فإنه يرفض الذوبان فى المجموعة الصغيرة «الأسرة» ويرفض الذوبان فى المجموعة الكبيرة «المجتمع» ويظل يؤكد على ذاته المستقلة المنفصلة.

وإنسان مريض آخر -مرضًا عقليًا- يذوب تمامًا مع الجماعة غير مدرك لحدود ذاته فى حالة شديدة من تفسخ «الأنا» وضياع حدودها وملامحها، كلاهما مريض، أما التوازن الصحى الطبيعى الفطرى التلقائى فهو أن يعيش الإنسان ذاته المتفردة، ويعيش ذاته المتوحدة مع الأسرة ومع المجتمع بغض النظر عن جنسه سواء كان رجلاً أو امرأة.

●● ويبدو أن الحوار كان من طرفين حينما كانت المرأة تصرخ وتعترض فيستجيب لها الرجل، ويصبح من طرف واحد حين يستجيب الرجل ولكن تنتقل المرأة إلى نقطة أخرى.

لم تستجب المرأة استجابة الرجل وعادت تصرخ: المرأة لا يمكن أن تخضع للرجل، المرأة لا يمكن أن تقبل المعاملة الأدنى والدونية. هذا

www.ibtesama.com/vb

ضد إنسانية المرأة. المرأة لا يمكن أن تسلم قيادها لرجل، الرجل ليس هو الراعى والمسئول الأول، المرأة ليست هى التابع وليست هى الرعية.

وقال الرجل بدون اهتمام كبير: الأمر ليس خضوعًا وتبعية وقيادة، إنها مسئولية مشتركة يتم فيها توزيع الأدوار، قد تلعب الموروثات دورًا فى توزيع هذه الأدوار، ولكن من أين جاءت هذه الموروثات؟ وأى قدر من الصحة تتمتع به؟ وهل فى هذه الموروثات ظلم وامتهان للمرأة؟ إذا شعرت المرأة بالظلم أو الامتهان فمن حقها أن ترفض، من حقها أن ترفض المسئوليات التى يدعى الرجل أنها من اختصاصاتها، من حقها أن تنازعه هذه الاختصاصات، ومن حقها أن ترفض بعض مسئولياتها، وهذه هى النقطة الثانية فى مفهوم الحرية، كانت النقطة الأولى حق الاختيار، ثم تأتى النقطة الثانية وهى حق القبول والرفض.

إن عقد الزواج المكتوب ليس هو كل شىء، وإنما هناك عقد آخر غير مكتوب يحمل شروطًا غير مكتوبة ولكن يتم الاتفاق عليها ويتم تحريره ضميريًا كل يوم وعند كل موقف وفى كل تعامل. إن الأمر يتوقف على شخصية كل منهما وإمكانياته وذكائه ومواهبه وقدراته وخبراته وتراثه البيئى الاجتماعى والثقافى. الأمر لا يتوقف على القدرة البدنية العضلية أو القدرة المادية وإنما يتوقف على الشخصية والذكاء والعلم والثقافة والخبرة والجذور البيئية. . إنه «أنا» إزاء «أنت».

www.ibtesama.com/vb

هناك حقيقة أدوار تراثية موروثة ولكن حدود هذه الأدوار تتعدل حسب الإمكانيات الشخصية لكل منهما، ولكن لا نستطيع أن نفلت أبدًا من أن هناك جنسين: رجل وامرأة. وأن الأدوار لها علاقة بالجنس رجل أو امرأة، وأنه لا يمكن تبادل بعض الأدوار وبعض المسئوليات وأنه لا يمكن التنازل عن بعض الاختصاصات. الأمر ليس حربًا وليس صراعًا وليس نزاعًا، القضية ليست تابعًا ومتبوعًا. والمعاملة المهينة أصبحت غير مقبولة إنسانيًا حتى من السيد للخادم، فالزواج أساسه الاحترام. احترام إنسانية كل طرف، وهو احترام ناشئ من التقدير والحب، الاحترام والتقدير يدخلان فى نسيج الحب، والإنسان السوى يحترم من يحبه، ولا يحب إلا من كان جديرًا بالاحترام، وإذا تعمقنا فى مفهوم المودة والرحمة نجد أنهما لا يتحققان إلا من خلال علاقة يسودها الاحترام.

ومن حق كل إنسان أن يخرج من علاقة الزواج إذا لم يكن هذا الزواج يحقق له الاحترام الكافى الذى هو حق لكل إنسان، حق يجب أن يتمتع به فى كل علاقة إنسانية مع صديق أو زميل أو جار. والاحترام لا يتعلق بالتعليم ولا يتعلق بالبيئة الاجتماعية وغير مرتبط بمفاهيم استقر عليها الإنسان. إنه أمر يتعلق بالوجدان، أى العاطفة والمشاعر، العاطفة النبيلة والمشاعر الطيبة والوجدان السامى الراقى، إنها الفطرة السوية، احترام الإنسان للإنسان، إنها رقة المشاعر والذوق والسماحة والصفاء والشفافية والتواضع

www.ibtesama.com/vb

والبساطة، أو بكلمة واحدة جامعة فاصلة وفى غاية التحديد: إنها المودة «ارجع إلى القرآن الكريم».

ولذلك فإن شكل العلاقة الزوجية يتحدد بعد وقت قليل من الزواج حين يصبح كل إنسان على طبيعته، أى يصبح ذاته الحقيقية، يصبح هو كما هو، وتصبح هى كما هى، وأن تكون مقبولاً كما أنت، وأن أكون مقبولا كما أنا. وهذه هى النقطة الثالثة فى مفهوم الحرية. كانت النقطة الأولى هى حق الاختيار والنقطة الثانية هى حق القبول والرفض. أما النقطة الثالثة فهى أن أكون أنا. ذاتى الحقيقية.. قبول الآخرين لهذه الذات كما هى، عدم اضطرارى لأن أجامل وأنافق، وهى تعنى أولاً وأساسًا صدق الإنسان مع نفسه.. وهى تعنى أساسًا قبول الإنسان لنفسه.. وهى تعنى رضا الإنسان عن نفسه، رضاه عن دوره ومسئولياته وبالتالى رضاه عن حدود دور واختصاصات ومسئوليات الآخرين.

أما الإنسان الذى لديه مشكلة مع نفسه وسيعبر عن هذه الصراعات بالثورة والغضب والرفض سيحاول أن يبدو فى صورة غير ذاته الحقيقية، فهو نفسه رافض لهذه الذات أو رافض لبعض جوانبها وغير راض عنها، لن يكون هو «ذاته الحقيقية» فى تفاعله وتعامله مع الآخرين بل سيكون الذات المزيفة، وسيحول صراعاته الداخلية إلى صراعات مع الآخرين.

هذا الإنسان يطالب وبصوت عال ومؤلم بالحرية. ويتصور

www.ibtesama.com/vb

واهمًا أن الآخرين يحاولون أن يقصوا ويختزلوا من حريته. وفى الحقيقة أنه هو الذى سجن نفسه داخل الذات المزيفة، لأنه لم يستطع أن يكون ذاته الحقيقية، لأنه غير راض عن هذه الذات. وهذا هو ما يحدث مع قلة قليلة جدآ من النساء، ولهذا يثرن من أجل قضايا وهمية غير حقيقية، يثرن ضد سيطرة الرجل وضد خضوع المرأة، يثرن ضد عدم احترام الرجل للمرأة. وضد المعاملة الدونية التى تتلقاها المرأة من الرجل، وضد اضطرارها لأن تهتم بنظافة البيت وإعداد الطعام، وضد اضطرارها لأن تحمل وتلد.. وضد خضوعها الجنسى للرجل.. وضد.. وضد.. وضد، إلى آخر سلسلة طويلة من التوهمات، بل قد تتوهم أيضًا أنها مضطرة إلى مسح حذاء الزوج، مشكلة هذه المرأة مع نفسها وليست مع الرجل، وليست هى مشكلة المرأة مع المرأة، بل هى مشكلة امرأة ذات طبيعة خاصة أو امرأة ذات ظروف خاصة جعلتها غير راضية عن نفسها. جعلتها غير واثقة بنفسها، جعلتها فى صراع نفسها، جعلتها عاجزة عن أن تكون ذاتها الحقيقية. جعلتها تشعر أن الآخرين لا يقبلونها كما هى فاضطرت إلى اصطناع ذات مزيفة، وهذا أجج من حدة الصراعات داخلها، ونقلت هذا الصراع خارجها، نقلته إلى الرجل. وأسقطت عليه كل احباطاتها مع نفسها، واتهمته بأنه هو الذى أهانها واحتقرها وحقرها وجعل لها أحط الأعمال «حملاً وولادة واهتمامًا بالبيت» وأنه استخدمها جنسيّاً. وبالطبع لم يفهم الرجل ماذا تعنى هذه المرأة، والأهم

www.ibtesama.com/vb

والأخطر أن بقية النساء لم يفهمن ماذا تعنى هذه المرأة. مما زاد من حدة عزلتها وزاد من حدة ثورتها إذ شعرت بأنها تصرخ ولا أحد يسمع أو لا أحد يريد أن يسمع أو الأصح لا أحد يفهم.

●● وعادت تصرخ وطرحت اعتراضًا ساذجًا: من قال إن من اختصاصات المرأة ودورها أن تتحمل مسئوليات البيت من تنظيف وإطعام للأسرة.. إن ما يثيرنى هو أن تقترن المرأة بهذه المسئوليات التافهة وترتبط بها..

قال الرجل برثاء: تضطر المرأة للعمل خارج البيت، ويوافق الزوج ويساعدها على ذلك، وفى هذه الحالة يشترك معها بقدر ما يسمح الوقت لمتاح لكل منهما بالعمل فى البيت، بل يساعدها فى كل شىء، قد يتولى كل مسئوليات المطبخ مثلا، وأحيانًا ترفض الزوجة مساعدة الزوج لها، تكره وقوفه فى المطبخ تعتبر أن ذلك اعتداء على مسئولياتها، ربما يكون ذلك بحكم موروثات تجعلها تصر على تحمل كل هذه الأعباء والمسئوليات.

الحياة الزوجية -لمن أراد الزواج وفهم معناه- تعاون ومشاركة وتحمل لمسئولية أسرية وليس تحملاً لمسئولية أفراد أو فرد معين. الأسرة كيان متكامل وله متطلبات، وعلى أفراد الأسرة التعاون من أجل توفير احتياجات ومتطلبات الأسرة سواء بالعمل داخل البيت أو العمل خارجه، ليست مسئولية الزوج أو الزوجة فقط بل مسئولية الأبناء أيضًا.

عادت تقول دون أن تتخلى عن صراخها: المهم هو العدل.

www.ibtesama.com/vb

العدل فى توزيع المسئوليات داخل البيت وخارجه، مع الإقرار بشىء مهم هو أن أعمال البيت ليست مرتبطة بالمرأة. والمرأة، مكانها هو العمل خارج البيت.

●● **قال الرجل وقد فقد حماسه تمامًا:** من يعمل لابد أن ينتج، لابد أن يكون لديه علم وخبرة لابد أن يكون لديه ما يقدمه ليستحق الأجر الذى يتقاضاه، العمل ليس رفاهية، وخلق كل إنسان ليعمل، ولا معنى للحياة بدون عمل. والعمل أساسًا من أجل الرزق، وكل إنسان يستفيد من عمل الآخر؛ المحامى يحتاج للطبيب والطبيب يحتاج للنجار وهكذا... ورزق كل إنسان يتوقف على احتياج الآخرين لما يقدمه من عمل، وتتوزع الأعمال حسب درجة الذكاء والعلم والكفاءة والخبرة. ولكن كل عمل مهم، وكل عمل ضرورى، هناك أعمال تحتاج إلى مهارات أقل ولكنها أعمال ضرورية، وكل إنسان ميسر لما خلق له. والنبوغ والموهبة والعبقرية استعدادات خاصة، وكل إنسان يجب أن يأخذ حقه وأن يحتل المكانة التى يستحقها، والبيت ليس التنظيف وإعداد الطعام!! هذه أشياء بسيطة ولا تحتاج إلى مهارات خاصة وأى إنسان بسيط يستطيع أن يؤديها، ولا أحد قال أن هذه الواجبات ارتبطت بجنس النساء، ولكن البيت شىء آخر، البيت إعداد نفسى، البيت مؤسسة روحية، البيت قيمة معنوية، البيت إدارة إنسانية أخلاقية. البيت يحتاج إلى مايسترو، قائد معنوى مثل قائد الفرقة الموسيقية التى تعزف لحنًا أوركستراليا لا ينفذ بدقة إلا بهورمون أو انسجام علمى، البيت إدارة علاقات وجدانية وفكرية.

www.ibtesama.com/vb

●● وارتبط البيت بتربية الأبناء وتنشئتهم، وهى ليست تربية أجساد ولكن تربية عقول ونفوس وسلوك، ومتابعة نمو وقدرات وإمكانيات ومواهب، وتعليم وتثقيف عملية معقدة وصعبة ولا يمكن أن تتم على الوجه السليم بشكل تلقائى، وإنما تحتاج لعلم وثقافة وخبرة ووعى ودراية واهتمام وبحث. وتراثياً وتاريخياً ومن خلال موروثات قامت المرأة بهذا الدور وأحسنت وأتقنت أداءه وفشل الرجل تمامًا فى هذا الدور. ولذلك أصبحت المرأة هى القائد والمايسترو داخل البيت، وأصبح الرجل هو القائد والمايسترو خارج البيت، وبعد ألف عام قد يثبت صحة الموروثات التى نتبعها حاليًا وينجح الرجل داخل البيت وتنجح المرأة خارج البيت ويعاد توزيع المسئوليات ونتخلص من موروثاتنا القديمة.

ورغم محاولته لترضيتها بجملته الأخيرة والتى كان يعنيها حقاً وبتفكير علمى ومنطقى إلا أنها استمرت فى صراخها وقالت: لابد من زعيمات يقدن حركة تحرر المرأة، إن قضية المرأة هى الحرية، هذه هى القضية الأساسية.

●● قال لها وقد اكتست نبرته بسخرية اليائس: هذا معناه أنك لم تستخلصى شيئًا من حوارى معك، إن جوهر ردودى عليك كان هو تشخيصًا لمعنى الحرية. الحرية هى حق الاختيار، وحق القبول والرفض، وصدق الإنسان مع نفسه ليكون ذاته الحقيقية.

وبهذا المعنى لا يمكن لإنسان أن يحرم إنسانًا من حريته، الحرية إحساس داخلى، الحرية لا تمنح، لا تعطى من الخارج، الحرية تنبع

www.ibtesama.com/vb

من الداخل. ويشترط لمن تريد أن تنادى بالحرية للآخرين أن تشعر هى بحريتها أولاً.

وتمادى فى سخريته قائلاً: وثمة شروط أخرى لمن تريد أن تتصدى لقضية حرية المرأة وهى كالآتى عدآ:

١- ألا ترتدى حذاء ذا كعب عال؛ إذ ليس من المعقول أن تنادى بالحرية وهى تهتز فى مشيتها وقد تتعثر فتقع.

٢- ألا ترتدى ملابس مزركشة ذات ألوان فاقعة وشراشيب وترتر أو لولى أو أى حلى أخرى، وألا تكون الملابس ضيقة أو قصيرة إلى الحد الذى يكشف عن معظم ساقيها، فليس من المعقول أن تنادى بالحرية وهى تستعبد الجسد وتجعله مثيراً لعيون الآخرين وخاصة عيون الرجل. وتجعله كذلك مثيراً لحسد وحقد وغيرة السيدات الأخريات.

٣- ألا تتعطر بأى بارفانات لأن للبرفانات مدلولا جنسيآ، إذا ليس من المعقول أن تنادى بحرية المرأة بينما هى من باب خلفى تسعى لإثارة مشاعر الرجل الجنسية. وألا تتزوق بأى مساحيق لنفس السبب، وأيضًا ألا تطيل أظافرها وتضيع وقت النضال فى طلائها.

٤- ألا تتزين بأى مجوهرات وخاصة ما يسمى بالألماظ والماس لأنها لابد أن تكون مثلاً أعلى صالحًا للتوحد للفقيرات المطحونات.

٥- أن تكون ولدت وعاشت وتربت مع أبويها المنفصلين. أى لا تكون قد تربت فى ظل زوج الأم أو زوج الأب؛ لأن من عاشت

www.ibtesama.com/vb

بعيداً عن أحد الأبوين الفعليين لا تدرك المعنى المتكامل للأسرة، وذلك حتى لا تتخذ موقفًا معاديًا لمفهوم الأسرة ومعناها الصحيح، وذلك بسبب عوامل لا شعورية دفينة بسبب سوء معاملة زوج الأم أو زوج الأب.

٦- أن تكون سيدة منجبة وأن يكون لها فعلاً طفل أو أكثر حتى لا تتخذ موقفًا معاديًا لعضو الرحم.

٧- ألا تكون على علاقة بشخص آخر غير زوجها.

٨- ألا يكون لها تاريخ غير أخلاقى سيئ فى مراهقتها وشبابها، أى تكون حسنة السير والسلوك.

٩- ألا تكون قد تزوجت أكثر من مرتين وفى حالة تعدد الأزواج عليها أن تحضر ما يثبت أن طلاقها دائمًا كان بسبب سوء طباع أو أخلاق الزوج.

١٠- ألا يكون لها طموحات إعلامية أو شهوات زعامية حتى لا يختلط علينا الأمر. ونعتقد أنها تتصدى لقضايا المرأة من أجل مصالح شخصية.

١١- أن تثبت من خلال شهادة موقعة من الزوج أنها لا تقوم بمسح حذاء الزوج.

وانصرف عنها وقد خلت مشاعره من أى شىء، لا مرارة، ولا استخفاف، ولا حتى رثاء.

www.ibtesama.com/vb

٧

الزوجة النكدية

يشكو الرجل من أن زوجته نكدية، وأن بيته قطعة من الجحيم، يعود إلى بيته فتداهمه الكآبة، إذ يطالعه وجه زوجته الغاضبة الحاد النافر المتجاهل الصامت. بيت خال من الضحك والسرور ويغيب عنه التفاؤل مثلما تغيب الشمس عن بيت فتلتهمه الأمراض، يقول فى بيتى مرض اسمه النكد، ويرجع السبب كله إلى زوجته ويدعى أنه لا يفهم لماذا هى نكدية؟ لماذا تختفى الابتسامة من وجهها معظم الوقت ويحل محلها الغضب والوعيد؟

ولماذا هى لا تتكلم!! لماذ لا ترد؟ والحقيقة أن هذا الزوج لا يعرف أن زوجته بصمتها الغاضب إنما هى تدعوه للكلام، إنها تصدر إليه رسالة حقيقة، إنها رسالة سلبية ولكن هذه هى طريقتها لأنهما لم يتعودا معًا -الزوج والزوجة- على طريقة أكثر إيجابية فى التفاهم.

ويقلق الزوج. يكتئب هو أيضًا، ثم يغلى فى داخله، ثم ينفجر، وتشتعل النيران وبذلك تكون الزوجة قد نجحت -أى استفزته- إلى حد الخروج عن توازنه. لأنها ضغطت على أهم شىء يوجع رجولته وهو التجاهل. أى عدم الاعتراف بوجوده. أى اللامبالاة. ولكن هذه ليست حقيقة مشاعرها فهى تغلى أيضًا لأنها غاضبة. غاضبة من شىء ما. ولكنها لا تستطيع أن تتكلم، فهذا هو

www.ibtesama.com/vb

طبعها ربما يمنعها كبرياؤها، فهذا الزوج يخطئ فى حقها وهو لا يدرى أنه مخطئ وأن أخطاءه ربما تكون غير إنسانية. ربما هو يتجاهلها عاطفياً، ربما هو يتجاهلها فراشياً. . ربما بخله يزداد، ربما بقاؤه خارج البيت يزداد بدون داع حقيقى، ربما أصبح سلوكه مريبًا. . ربما. . وربما. . وربما. . وهناك عشرات الاحتمالات. ولكنه لا يدرى أو هو غافل أو هو لا يعرف ويتجاهل. وهو لا يدرى أنها تتألم. أى أنه فقد حساسيته، ولكنها لا تتكلم.

لا تفصح عن مشاعرها الغاضبة، ربما لأنها أمور حساسة ودقيقة. ربما لأن ذلك يوجع كرامتها. . ربما لأنهما لم يعتادا أن يتكلما. ولهذا فهى لا تملك إلا هذه الوسيلة السلبية للتعبير. وهى فى الوقت نفسه وسيلة لعقابة التجاهل. وإذا بادل الزوج زوجته صمتًا بصمت وتجاهلاً بتجاهل فإن ذلك يزيد من حدة غضبها وربما تصل هى إلى مرحلة الثورة والانفجار فتنتهز فرصة أى موقف وإن كان بعيدًا من القضية الأساسية لتثير زوبعة. لقد استمر فى الضغط عليها حتى دفعها للانفجار.

ضغط عليها بصمته وتجاهله رداً على صمتها وتجاهلها وتلك أسوأ النهايات أو أسوأ السيناريوهات. فهى -أى الزوجة- تصمت وتتجاهل لتثير وتحرق أعصابه وتهز كيانه وتزلزل إحساسه بذاته ليسقط ثائرًا هائجًا وربما محطمًا. وهنا تهدأ الزوجة داخلياً ويسعدها سقوطه الثائر حتى وإن ازدادت الأمور اشتعالاً وشجاراً تتطاير فيه الأطباق وترتفع فيه الأصوات. وهذا هو شأن التخزين

www.ibtesama.com/vb

الانفعالى للغضب، وتتراكم تدريجياً مشاعر الغضب حتى يفيض الكيل وتتشقق الأرض قاذفة بالحمم واللهب فتعم الحرائق.

وقد يستمر هذا الأسلوب فى التعامل والتفاعل سنوات وسنوات، وهذا يؤدى إلى تآكل الأحاسيس الطيبة ويقلل من رصيد الذكريات الزوجية الحلوة ويزيد من الرصيد السلبى المر. ويعتادان على حياة خالية من التفاهم وخالية من السرور ويصبح البيت فعلاً قطعة من جحيم. فتنطوى الزوجة على نفسها واهتماماتها الخاصة، ويهرب الزوج من البيت، وتتسع هوة كان من الممكن ألا توجد لو كان هناك أسلوب إيجابى للتفاهم.

وتشخيصًا للموقف نستطيع أن نقول:

- إننا أمام زوج لا يعرف ما يضير ويضايق ويؤلم زوجته.
- وهذا الزوج يتمادى فى غيه مع الوقت.
- وهو أيضًا قد فقد حساسيته تجاه زوجته.
- وأننا أمام زوجة تكتم انفعالاتها وتخزن أشجانها وتحترق بالغضب.
- وهذه الزوجة تلجأ إلى أسلوب سلبى فى الرد على زوجها وذلك بإشاعة جو النكد فى البيت لتحرم الزوج من نعمة الهدوء والاستقرار والسلام ونعمة الإحساس بذاته.
- وتظل الزوجة تستفز زوجها بهذا الأسلوب حتى يثور.
- ولكنهما لا يتعلمان أبدًا بل يستمران فى نفس أسلوب الحياة الذى يهدد بعد ذلك وبعد سنوات أمن واستقرار البيت.

www.ibtesama.com/vb

●● واستمرار حالة الاستفزاز معناه تراجع المودة والرحمة. وهناك ألف وسيلة تستطيع الزوجة عن طريقها استفزاز زوجها، وكذلك هناك أكثر من ألف طريقة يستطيع بها الزوج استفزاز زوجته أهمها كما قلنا الصمت والتجاهل والوجه الغاضب والكلمات اللاذعة الساخرة الناقدة والجارحة، أو يتعمد أى منهما سلوكًا يعرف أنه يضايق الطرف الآخر، أو قد يلجآن إلى أسوأ أنواع الاستفزاز وهى إثارة الغيرة والشك.

والعناد هو شكل من أشكال الاستفزاز.

والعناد هو نوع من أنواع البغى والتمادى والتحدى، والتحدى هو أسوأ سلوك زوجى، والتحدى يخلق عداوة والعداوة تؤدى إلى العدوانية، وبذلك يحدث تصلب وتخشب وتحجر وتفتقد المرونة وتضيع روح التسامح والتواضع والتساهل والتنازل.

واستمرار الزوجين فى العناد معناه عدم النضج، أو معناه أن أحدهما يعانى ألمًا نفسيًا حقيقيًا وأن الطرف الآخر يتجاهل عن عمد أو عن غير عمد هذا الألم.

وهذا معناه أننا أمام مشكلة زوجية تحتاج إلى رعاية.. فكلاهما يعانى. وكلاهما غاضب.. وكلاهما خائف. وكل منهما يتهم الآخر ويحمله النصيب الأكبر من المسئولية ويرى نفسه ضحية، أى لا يوجد استبصار، ولا يوجد بصيرة.

والخطأ الأكبر الذى يقع فيه الزوجان أن يجعلا المشاكل تتراكم بدون مواجهة، بدون توضيح، بدون الحوار بصوت عال هادئ،

www.ibtesama.com/vb

بدون أن يواجه كل منهما الآخر بأخطائه أولاً بأول . . بدون أن يعبر كل منهما عن قلقه ومخاوفه وتوقعاته وآلامه وهمومه . . يجب أن يرفع كل منهما شكواه إلى الآخر بكلمات واضحة وصوت مسموع ونبرة ودود، ويجب الاستمرار والمثابرة والإلحاح فى عرض الشكوى حتى تصل إلى ضمير الطرف الآخر، قد يكون تجاهل الزوج لمتاعب الزوجة ليس عن قصد أو سوء نية أو خبث، ولكن لأنه لا يعرف، لا يعلم، لأنها لم تتحدث إليه، لأنها لم تعبر بشكل مباشر، ربما لأنها تعتقد أنه يجب أن يراعى مشاعرها دون أن تحتاج هى أن تشير له إلى ذلك، ربما تود هى أن يكون هو حساسًا بالدرجة الكافية، ربما تتمنى هى أن يترفع هو عن أفعال وسلوكيات تضايقها وتحرجها. وهذا جميل وحقيقى. جميل أن يكون لديها هذه التصورات وهذه الأمنيات المثالية، ولكن الأمر يحتاج أيضًا إلى تنبيه رقيق . . إشارة مهذبة . . تلميح راق . . كلمات تشع ذوقًا وحياء دون مباشرة. ولا مانع -وخاصة فى الأمور المهمة والحساسة والدقيقة- من المواجهة المباشرة والحوار الموضوعى، فهذا حق كل منهما على الآخر، وهذا هو واجب كل منهما تجاه الآخر. وهذا هو أصل المعنى فى المودة والرحمة لأن الزوجين اللذين وصلا إلى هذه المرحلة من الاستفزاز المتبادل يكون قد غاب عنهما تمامًا المعنى الحقيقى للمودة والرحمة.

والحقيقة أن أى إنسان مقدم على الزواج -رجلاً أو امرأة- يجب أن يكون متفهمًا وبعمق بقلبه وعقله وروحه المعانى الحقيقية لأعظم كلمتين: المودة والرحمة.

www.ibtesama.com/vb

٨
المودة والرحمة

●● يقال إن الزواج سترة للبنت. ولكنه فى الحقيقة سترة للرجل أكثر. والرجل بدون زواج ضائع. والرجل بدون زوجة ناقص. وحين يموت الزوج يستمر البيت قائمًا، تظل الزوجة ويظل الأولاد من حولها ثم يتفرقون ولكنهم يروحون ويجيئون. ولكن إذا ماتت الزوجة فإن البيت ينهار، والزوج وحده لا يستطيع أن يقيم بيتًا، لا يستطيع أن يعمر سكنًا، ينطفئ البيت ويتفرق الأبناء، وهذا هو ما جاء ذكره بالقرآن الكريم تحديدًا ونصًا: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١]. إذن الزوجة هى السكن، والزوج يسكن لدى الزوجة، إذن الزوج هو ساكن وليس صاحب السكن حتى وإن كان يمتلكه، حقيقة هو اشتراه أو استأجره بماله ومسجل باسمه ولكنه مجرد جدران وسقف، السكن شىء أبعد وأعمق من هذا. السكن معنى. السكن هو سكينة النفس وطمأنينتها واستقرارها. السكن هو الحماية والأمن والسلام والراحة والظل والارتواء والشبع والسرور. السكن قيمة معنوية وليس قيمة مادية. وإذا ذهبت الزوجة ذهب السكن حتى وإن كان الزوج يعيش فى قصر، وهو سكن ليس مجانيًا، يجب أن يدفع الزوج. ولأن

www.ibtesama.com/vb

السكن قيمة معنوية فإن الزوج يجب أن يدفع فيه أشياء معنوية؛ وهو أن يتبادل المودة والرحمة مع الزوجة، فهذا السكن يقام على المودة والرحمة، المودة والرحمة هما الأساس والهيكل والمحتوى والهواء، وبغياب المودة والرحمة ينهار السكن؛ فلماذا جعلت الزوجة هى السكن؟

الإجابة تأتى من نفس الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]: الآية تقول: خلق لكم من أنفسكم أزواجًا. انتبه إلى كلمة أزواجًا ولم يقل نساء. أى أن السكن لا يتحقق إلا من خلال علاقة زواج، لا تحقق إلا إذا تحولت المرأة إلى زوجة، إذن الأصل فى الحياة أن يكون هناك زواج، رجل مؤهل لأن يكون زوجًا وإمرأة مؤهلة لأن تكون زوجة. يذهب الرجل إلى المرأة لتصبح زوجته ليسكن إليها، فإذا لم تكن زوجته فإنه من المستحيل أن تصبح سكنًا حقيقيّاً له، ولذلك لا تصح العلاقة بين الرجل والمرأة إلا بالزواج. ولا يمكن للرجل أن ينعم بالسكن إلا من خلال الزواج.

●● ونكمل الآية الكريمة: وجعل بينكم مودة ورحمة، جاء السكن سابقًا على المودة والرحمة، إذ لابد للإنسان أن يسكن أولاً.. أن يختار المرأة الصالحة ويتقدم إليها ويتزوجها ليتحقق السكن. فإذا قام السكن جعلت المودة والرحمة. إذن لا يمكن أن تقوم المودة والرحمة إلا من خلال وفى إطار سكن أى من خلال وفى إطار

www.ibtesama.com/vb

زواج . والكلمات الربانية البليغة تقول «وجعل بينكم» أى أن الله هو الذى جعل، أى لابد أن يكون، فطالما أنه زواج فلابد أن يستمر على المودة والرحمة، هذا ضمان من الله لكل من أراد الزواج . فإذا أردت أن تسكن فلابد أن تتزوج، وإذا تزوجت فلابد أن تنعم بالمودة والرحمة، وبالتالى تصبح الزوجة هى أصل المودة وهى أصل الرحمة؛ لأنها هى التى وفرت السكن، فلا دعامة لهذا السكن إلا بالمودة والرحمة .

وتأمل الكلمة الربانية الدقيقة «بينكم» . لم يقل عز وجل : جعل لكم، وإنما بينكم، وهى تعنى أنها مسألة تبادلية، أى يتبادلها الزوج والزوجة ، أى أن المودة والرحمة لا تتحققان إلا من الطرفين . أى لا يمكن أن تكون من طرف واحد، لم يجعل الله الرجل ودودًا رحيمًا وحده، ولم يجعل المرأة ودودًا رحيمة وحدها، هذا لا يكفى، إنما لابد من الاثنين معًا . ويتجه الرجل نحو المرأة طمعًا فى السكن . ومن الذى يسكن؟ ليس الجسد، وإنما الروح، فروح الرجل تسكن إلى روح المرأة، ثم يطمع فى المودة والرحمة، مودة المرأة ورحمتها، فتهبها له . أى أن المرأة تسبق الرجل فى مودتها ورحمتها، أى هى الأساس وهى الأصل، فإذا تلقى مودتها ورحمتها بادلها المودة والرحمة .

هذا هو القانون الذى وضعه الله، وهذا هو النظام وهذا هو الناموس الطبيعى، هذا هو أصل الحياة؛ خلق آدم فى البداية،

www.ibtesama.com/vb

ولكن لكى تكون هناك حياة متكاملة مستمرة خلق له من نفسه زوجته، أى أخذ من روحه ليخلق له زوجته. إذن زوجته هى بعض روحه. إذن الزواج هو عودة للاتصال بروحه. إذن الزواج هو التحام شقين أو جزأين أو نصفين انفصلا مؤقتًا ليعاودا الاتصال، والتواصل والالتحام بقوة جذب إلهية.

إذن الرجل هو الذى يحن إلى الزواج، يحن إلى بعض روحه. تحن روحه إلى هذا الجزء من روحه الذى انفصل عنه، الزواج هو حنين الروح إلى الروح، أو حنين الروح إلى ذاتها، وهذه هى حكمة أن الله خلق المرأة من نفس الرجل أى من روحه. خلق الحياة فى صورة آدم فى البداية، ثم خلق حياة من حياة. . خلق حواء من آدم، خلقها ليس خلقًا مجردًا لتتواجد بذاتها ولكن خلقها لتصبح زوجة آدم. خلقت لتكون زوجة، ولا يمكن أن تكون هناك حياة لبشر إلا من خلالها، ولذلك هى الأصل، الأصل فى السكن، والأصل فى المودة والرحمة.

ومن أسماء الله الحسنى أنه الودود وهو الرحمن وهو الرحيم. إذن المودة والرحمة هما من بعض صفاته سبحانه وتعالى، ولذلك لا حدود لمعانى المودة والرحمة وهو شىء يفوق الحب، شىء فوق الحب بمراحل كثيرة، كالمسافة بين الأرض والسماء، كالفرق بين الثرى والثريا.

www.ibtesama.com/vb

والمودة مطلوبة فى السراء والرحمة مطلوبة فى الضراء، وهذه هى حكمة اجتماع الكلمتين فى أمر الزواج. وهذا إشارة إلى أن الزوجين سيواجهان صعوبات فى الحياة معًا، هناك أيام سهلة وأيام صعبة، وأيام سارة وأيام محزنة، وأيام يسيرة وأيام عسيرة. المودة مطلوبة فى الأيام السهلة السارة اليسيرة، والرحمة مطلوبة فى الأيام الصعبة والمحزنة والعسيرة.

والمودة هى اللين والبشاشة والمؤانسة والبساطة والتواضع والصفاء والرقة والألفة والتآلف، وإظهار الميل والرغبة والانجذاب، والتعبير عن الاشتياق وفى ذلك اكتمال السرور والانشراح والبهجة والنشوى.

أما الرحمة فهى التسامح والمغفرة وسعة الصدر والتفهم والتنازل والعطف والشفقة والاحتواء والحماية والصبر وكظم الغيظ والسيطرة على الغضب والابتعاد كلية عن القسوة والعنف والعطاء بلا حدود والعطاء بدون مقابل والتحمل والسمو والرفعة والتجرد تماما من الأنانية والتعالى والغرور والنرجسية. وهى معان تعلو على المودة وتؤكد قمة التحام الروح مع الروح وقمة الترابط والأبدى الخالد.

المرأة مؤهلة بحكم تكوينها لتجسيد كل هذه المعانى الأصيلة. وبذلك فهى السكن الحقيقى، ولا تصلح للسكن إلا من كانت مؤهلة لذلك، فإذا كانت هى السكن فهى المودة والرحمة، وهى قادرة على

www.ibtesama.com/vb

تحـريك قـدرة الرجل على المودة والرحـمـة، فـالبـداية من عندها، والاستجابة من عند الرجل ليبادلها مودة بمودة ورحمة برحمة.

ويظل الزواج باقيًا ومستمرًا ما استمرت المودة والرحمة، ولحظة الطلاق هى لحظة الجفاف الكامل للمودة والرحـمة وانتزاعـها من القلوب.

وهناك قلوب كالحجارة أو أشد قسوة، وهى قلوب لا تصلح أن تكون مستقرآ لأى مودة ورحمة، وبالتالى فهى لا تصلح للزواج. وإذا تزوجت فهو زواج تعس ولابد أن ينتهى إلى طلاق.

●● الزواج يحتاج إلى قلوب تفيض بالمودة والرحمة.

●●●

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

٩
لعبة الغيرة والشك

●● من هموم الرجل لعبة الغيرة والشك التى قد تلعبها امرأته . وهى لعبة لأنه ليس لها أى أساس جدى ، أى ليست حقيقية ، ولكنها لعبة خطرة ومدمرة ولابد أن تنفجر فى النهاية فى وجه الزوجة وحدها لتقضى على الأمان والطمأنينة فى علاقتها بزوجها ، أى تقضى على الحب .

●● تتحرك المرأة بوعى وبفهم وبقصد أو بحس غريزى تلقائى ، إذا تحركت بوعى وفهم وقصد فهى سيئة النية ، وإذا تحركت بتلقائيتها فهذه هى فطرة المرأة ، والمرأة تجيد هذه اللعبة سواء قصدت أم لم تقصد ، والأمر لا يحتاج منها إلى مهارة كبيرة .

●● أى امرأة ستصيب الهدف وتجرح الرجل لينزف قلبه ويفرغ من الحب ، فهذه هى أسهل طريقة لإصابة رجل ، لأن الإصابة تتجه إلى مركز رجولته ومحور ذكورته وكينونة ذاته ، إذن لابد أن تحدث هزآ عنيفًا فى كيانه وكأنها زلزلة الساعة .

●● والأمر هنا يختلف عن الغيرة الطبيعية التى يستشعرها الرجل فى المواقف العادية التى تعبر بحياته مع امرأته . فالغيرة شعور صحى وجميل بالرغم من أنه مؤلم بعض الشىء . وغيرة الرجل هى

www.ibtesama.com/vb

غيرة الراعى والمسئول، وهى أمر داخل فى نسيج الحب، حب الزوجة وحمايتها، والغيرة الطبيعية تحمل فى طياتها احترامًا وتقديرًا لهذه الزوجة، فهى تستحق أن يغار عليها، فهى شىء ثمين وقيم، وهى شىء جدير بالحفاظ عليه وحمايته، إذن الغيرة إعلاء من شأن المرأة وتعبير عن سمو مكانتها وقدسيتها، والرجل الحقيقى هو الذى يغير، والزوج الحقيقى هو الذى يغير، والمحب الحقيقى هو الذى يغير.

والغيرة تنطلق من مركز إحساس الرجل برجولته ودوره ومسئوليته، تنطلق من مركز قيمه وأخلاقه واعتزازه بهذه القيم، تنطلق من حرصه على حياته الأسرية ورغبته المخلصة فى استقرارها وثباتها واستمرارها.

الرجل غير الحقيقى لا يغير، ومعنى الرجولة غير الحقيقية أنها اضطراب فى إحساس الرجل بذكورته تجاه الأنثى، واضطراب إحساسه بدوره كرجل، واضطراب إحساسه بالمسئولية.

وأيضًا إذا فقد الرجل احترامه للمرأة فإنه لا يغير عليها، وإذا تقطعت كل الصلات الإنسانية والروحية بينهما فإنه يفقد تمامًا مشاعر الغيرة؛ لأنها حينئذ لا تعنيه هذه المرأة ولا يهمه أمرها ويفقد أحساسه بالمسئولية تجاهها، فهى امرأة غير محترمة، امرأة رخيصة.

●● والغيرة الطبيعية الصحية هى خليط من مشاعر العزة والكرامة والحمية والمسئولية والدفاع والذود. هى مشاعر القوة والحزم

www.ibtesama.com/vb

والشجاعة والإقدام والتحدى، هى الطاقة التى تنبعث فى الجسم والروح، فيشعر الإنسان بذاته الرجولية الذكرية الحقيقية وتدفعه إلى أن يكون متأهبًا مستعداً. وتفوح منه رائحة الرجولة فتشمها امرأته ومن حوله فتنشى بها امرأته وتفر الذئاب من أمامه. . وتبدو فى عينيه أمارات التصميم والصرامة فيبدو فى عينى امرأته فى أجمل صورة بينما يفزع من شكله من كان يحوم حول حماه.

●● المرأة الصالحة لا تتعمد إثارة غيرة زوجها.

●● ولكن هناك امرأة تتعمد إثارة غيرة زوجها بل قد تدفعها عقدها إلى إثارة شكوكه، والشكوك معناها أنها تزرع فى يقينه بذوراً خبيثة سامة تثير قلقه وخوفه وغضبه وتقوى لديه الاحتمال بأن الخطر المحدث ليس خارجياً فقط وإنما نابع من ذات امرأته أيضًا.

وهذه هى الغيرة السيئة الضارة والتى تكون المرأة مسئولة عنها بسلوكها غير السوى أو سلوكها المستهتر أو سلوكها المتعمد منه إثارة غيرة الرجل.

الغيرة فى هذه الأحوال هى مزيج من القلق والخوف والغضب والألم. وسرعان ما تتداخل معها مشاعر الحقد والكراهية والعدوان والرغبة فى الإيذاء والانتقام. إنها مزيج من أسوأ المشاعر المدمرة.

وحينما تنتاب الرجل مثل هذه المشاعر يبدأ العد التنازلى فى مشاعره الإيجابية تجاه زوجته. تتنهار الطوبة الأولى فى صرح

www.ibtesama.com/vb

العلاقة، تبدأ السوسة الأولى فى نخر العمود الفقرى للعلاقة الزوجية، وهو وباء لا يمكن إيقافه، تنهار الطوبة الأولى وتعقبها الطوبة الثانية . . وهكذا حتى ينهار الصرح كله .

إذا تم زرع الشك فى قلب وضمير الزوج فلا يمكن لأى قوة أن تمحوه ولابد أن يؤدى حتمًا إلى موت كل المشاعر الطيبة من جانبه تجاه امرأته، ولابد أن ينقلب الأمر فى النهاية إلى حقد ومرارة حتى وإن عاش معها حتى نهاية عمره .

والمرأة هى المسئولة عن زرع بذور الشك الخبيثة السامة .

لماذا؟ ما الذى يدفع المرأة إلى هذا السلوك الخطر . . ؟

- أنه أولاً الإحساس الشديد بالنقص . النقص الأنثوى . وهى مشكلة تعانى منها منذ طفولتها حيث النبذ والإهمال وتفضيل الشقيقة الأجمل، وتظل تلازمها مشاعر الخوف من رفض الرجل لها وعدم إقباله عليها . مشاعر دفينة لا تدرى عنها شيئًا، وتخاف أن يمل الزوج ويضجر ويهرب إلى أخرى، إذن لابد أن تثبت له أنها مرغوبة، وأنه إذا لم يهتم بها فإن هناك رجالاً آخرين يسعدهم أن يقوموا بالمهمة، تدفعها عقدة النقص الأنثوى أن تبدى اهتمامًا زائدًا بالرجال وأن تستدرجهم إلى الاهتمام الخاص بها ولابد أن يكون ذلك على مرأى ومسمع من الزوج حتى يحدث تأثيره المدوى ويزلزله ويحركه ويذكى داخله الحب

www.ibtesama.com/vb

والاهتمام. وتتعمد هذه المرأة المسكينة مواقف بعينها وتؤكدها وكأنها تروى بذور الشك التى زرعتها لتظل دائمًا حية ويقظة.

ويقلق الزوج، يخـــاف، يضطرب، وهو قلق لا يزول أبدًا. ويبدى اهتمامًا بزوجته، وكلما أقبل واهتم أمعنت الزوجة فى سلوكها المثير لشكه وغيرته فلقد نجحت، إن قلق الزوج ثم إقباله الزائد واهتماسه المبالغ فيه عزز لديها هذا السلوك ودعمه وتحترق أعصاب الزوج. وكلما ازداد احتراقًا ازداد قلقًا وأمعنت هى فى سلوكها، وتظن الزوجة أنها ملكت زوجها وأنها سيطرت عليه. ولكن الحقيقة عكس ذلك أن اهتمامه بها فى البداية هو اهتمام القلق والخوف، الخوف من الفقد، الرغبة المقلقة فى أن يثبت لنفسه أنه الرجل الأول والأوحد فى حياة امرأته، وأنه المسيطر على عقلها وقلبها، وتعطيه المرأة هذا الأحساس فيسعد ويزول عنه بعض قلقه. ولكنها تعاود اللعبة مرة أخرى، فيقلق، حتى يفقد الثقة بها تمامًا. حتى يراها امرأة لا تستحق حبه واحترامه، حتى يراها معذبته ومقلقته، وحينئذ يكون قد اكتشف اللعبة، فيلعب هو لعبة مضادة. لعبة مفروضة عليه، لعبة ليس له دخل أو إرادة فى توجيهها إنه يظهر حبه واهتمامه ولكنه فى نفس الوقت وبالوسائل الذاتية يعالج جروحه وآلامه وذلك بأن يميت مشاعره تجاهها. يكوى خلايا الحب لتموت. ويمشى وفق خطة يرسمها له الكمبيوتر الداخلى. خطوة خطوة، قطرة قطرة، حتى يصل إلى آخر مرحلة وهى أن

www.ibtesama.com/vb

يفقد تمامًا مشاعر الغيرة، تصبح المرأة لا شيء بالنسبة له، تصبح مدام صفر، حينئذ يكون قد كسب الجولة الأخيرة تمامًا والتى تنهى اللعبة أو بمعنى آخر تنهى العلاقة.

●● والحقيقة أن المرأة ضحية، والرجل ضحية، المرأة ضحية عدم الثقة بالنفس، والرجل ضحية امرأة معدومة الثقة بنفسها. بالرغم من أنها تحبه وأنه يحبها، بالرغم من أنها مخلصة له وهو مخلص لها، بالرغم من أنه يمنحها الثقة من خلال حبه وأنه يراها فعلاً جميلة ومشبعة، بالرغم من أنه يسعد بالحياة معها، ولكنها أبدًا لا تطمئن ولا تستريح وتريد المزيد.

إنه الجوع للثقة، الجوع للاهتمام، الجوع للإحساس بأنوثتها المذبوحة المنقوصة، والرجل معذور. إنها تذبح رجولته، تهد كيانه الأساسى، تمحق ذاته، إنها أيضًا تهز ثقته بنفسه من خلال رجل آخر، ويظل شبح الرجل الآخر يهدده فى كل وقت، فى منامه وفى يقظته، ويظل يقارن بين نفسه والآخرين. من أنا فى وسط الرجال؟ فى أى شيء يتفوق هذا الرجل على؟ أى شيء أعجبها فى هذا الرجل؟ كل هذه التساؤلات والأفكار مدمرة محطمة. وحين يقارن نفسه برجال آخرين يكون قد وصل إلى درجة كبيرة من افتقاد الثقة بنفسه.

ومع هذا الشعور المضنى بفقد الثقة تبدأ أولى درجات الكراهية لامرأته.. لا يكره رجل امرأته إلا لهذا السبب. هناك أشياء كثيرة

www.ibtesama.com/vb

تفسد العلاقة بين الزوج والزوجة وقد تؤدى فى النهاية إلى الانفصال ولكنه لا يكرهها، الرجل يكره المرأة فى حالة واحدة فقط، وذلك إذا هزت ثقته بنفسه عن طريق رجل آخر لأنها تكون قد ذبحت رجولته، ولا شىء يذبح رجولة رجل إلا رجل آخر يستخدم عن طريق امرأة مريضة أو امرأة سيئة.

● ومازلنا نبحث عن الأسباب التى تدفع امرأة عمدًا أن تثير شكوك زوجها.

السبب الثانى هو أنها امرأة سيئة بالفعل، سيئة الطباع، وسيئة المشاعر، وسيئة التفكير إنها امرأة خبيثة. وزرع الشك فى نفس الزوج هو نوع من العدوان السلبى، عدوان الضعيف، عدوان المقهور، وقد يكون الرجل هو المسئول، فهو الذى قهرها، أو هو الذى أهانها واعتدى عليها. وهى تشعر بالعجز أمامه. لا حول لها ولا قوة ولا حيلة لها، ولا تدرى كيف ترد عدوانه. وبفطرتها تعرف أن أخطر ما يجرح كبرياء رجل ويهده التلويح برجل آخر. وقد يكون السبب أن الرجل قد اهتم بامرأة آخرى. فتستخدم امرأته لعبة الشك لعقابه وتهذيبه وتعليمه واسترجاعه. وتظن بذلك أنها ستسترجعه فعلا، ولكن الحقيقة عكس ذلك؛ لأن بداية النهاية هى نزع الطمأنينة، وإذا فقد الرجل ثقته بالمرأة فإنه لا يستطيع أن يسترجعها أبدًا مهما فعلت هذه المرأة.

الرجل لا يغفر للمرأة دخول رجل آخر فى حياتها، أو حتى التلويح برجل آخر، والأمران يستويان عند الرجل سواء كان

www.ibtesama.com/vb

هناك رجل فعلى فى حياة امرأته أو أنها لوحت بهذا الرجل، أى أنها تعمدت إثارة شكوكه دون أن يكون هناك ظل حقيقى. إذ إن الرجل الذى يعرف أن امرأته تستخدم سلاح الشك يتيقن من شىء آخر وهو أنها خبيثة، سيئة، رديئة المعدن، وأنها عدوانية لأنها اختارت اسوأ وأفظع الطرق لعقابه، إن الرجل يقبل من المرأة أى شىء، ويغفر لها أى شىء إلا أن تخونه أو تهدد بخيانته أو تلعب لعبة الشك، ولعبة الشك معناها أنها امرأة لم تخطئ ولكنها توحى لزوجها بذلك، وفى الحالة الأولى هى آثمة وفى الحالة الثانية هى خبيثة، والرجل ينفض قلبه من كلتا المرأتين.

- أما إذا بحثنا عن سبب ثالث يدفع المرأة إلى لعبة الغيرة والشك فإنه لا يكون إلا سطحية المرأة وضحالتها وتفاهتها. فالمرأة الذكية الواعية العاقلة المتزنة الجادة العميقة فى وجدانها وفكرها لا تقدم على مثل هذه اللعبة الخطرة لأنها تكون أكبر وأسمى من ذلك ولأنها تعرف مدى خطورة هذه اللعبة.

- السبب الرابع هو المرأة المستهترة المتسيبة إلى حد ما، والتى لها ماض غير نظيف تمامًا، أى أن صفحتها لم تكن بيضاء بياضًا ناصعًا ولهذا يسهل على المرأة أن تندفع إلى هذا السلوك الطائش الأحمق فالأمر يكون سهلاً عليها. ولقد علمتها تجاربها السابقة أن أسهل طريقة لحرق قلب رجل هو الاستعانة برجل آخر، إنها امرأة مدربة، وهناك فرق بين اللعب والإثم

www.ibtesama.com/vb

الحقيقى . فالمرأة الآثمة تخفى إثمها ، أما المرأة التى تلعب لعبة الشك والغيرة فإنها تتعمد سلوكًا معينًا يوحى بأن هناك علاقة أو احتمال علاقة أو مشروع علاقة مع رجل آخر أو أن رجلاً آخر يهتم بها اهتمامًا خاصًا .

● السبب الخامس وهو سبب عام : انتقام المرأة -لأى سبب من الأسباب- من الرجل ، لعبة الشك والغيرة هى إحدى وسائل انتقام المرأة من الرجل . وهو سبب قد ينسحب على كل الأسباب السابقة أى متداخل معها . ولكن وبشكل عام أيضًا فإن لعبة الغيرة والشك لا تلعبها إلا امرأة مريضة أى معقدة نفسيّاً فاقدة الثقة بقدراتها الأنثوية أو غير واثقة بحب واهتمام زوجها لها أو امرأة ضعيفة أو امرأة خبيثة . أى لابد أن يكون هناك قدر من السوء فى شخصية هذه المرأة ، وهى بالقطع أيضًا قصيرة النظر ولا تدرى أنها بهذه اللعبة تكون قد فقدت رجلها تمامًا . حتى وإن استمر فى الحياة معها فإنها تكون قد فقدت روحه . .

●● هذه هى أخطر هموم الرجل . والأمر يختلف هنا عن الغيرة التى يكون سببها اضطراب شخصية الرجل ، وأيضًا الأمر يختلف عن الشك الذى يكون له رصيد وظل من الواقع والحقيقة ، أى حين تكون المرأة آثمة فعلاً . إلا أن النهاية واحدة سواء إذا كانت المرأة آثمة فعلاً أو كانت تلعب لعبة الشك .

●● ولعل هناك سببًا آخر لابد من أن نذكره وإن كان بعيدًا عن أن

www.ibtesama.com/vb

يقبل بسهولة لأنه مرتبط بأعمق أعماق اللاشعور. وهو أن المرأة تلعب هذه اللعبة كنوع من الانتحار، أى أنها تنتحر، وانتحارها يكون عن طريق تدمير الحب بينها وبين زوجها لكى تفقد فى النهاية زوجها، إنه نوع من عقاب الذات، بل إن الأمر قد يصل إلى أن تعترف المرأة اعترافات تفصيلية عن خيانات صدرت عنها ولكنها فى الحقيقة لم تحدث. أى أنها لم تخن فعلاً زوجها، ولكنها تعترف، تعترف بأشياء لم تقترفها، وهذا عرض من أعراض المرض العقلى، قد يكون اكتئابًا. وقد يكون بداية الفصام وقد يكون أحد أعراض اضطراب الشخصية. إنها قوة تدميرية هائلة تستولى على المرأة لتحطيم كل شىء، وهى تحطم ذاتها قبل أن تحطم أى شىء آخر. أو هى تستخدم ذاتها لتحطيم كل شىء، وأى شىء أهم لدى المرأة أكثر من حبها لزوجها واستقرارها؟؟ وأى عقاب أقسى من تدمير وتحطيم وخراب البيت..؟

●● ولجوء المرأة المريضة بعقلها الباطن إلى هذه الوسيلة يدلنا على أن أخطر ما يهدد العلاقة بين اثنين هو الشك وخاصة شك الرجل فى المرأة.

●● إنها من أخطر هموم الرجل وعذاباته وخاصة إذا كان رجلا حقيقيًا.

www.ibtesama.com/vb

١٠

رجل خانته زوجته

●● تختلف ردود أفعال الرجال الذين يتيقنون من خيانة زوجاتهم. الأمر يختلف من رجل إلى رجل حسب ظروف تنشئته وتربيته وثقافته وتعليمه والبيئة التى تربى وعاش فيها والمجتمع الذى نما فى أحضانه والحقبة الزمنية التى عاش فيها والثقافة والمفاهيم السائدة وقتها. يختلف الأمر حسب موقف المجتمع من علاقة الرجل بالمرأة وموقفه من الزواج وموقفه أيضًا من القيم والأخلاق ومدى التزامه الدينى. أشياء كثيرة جداً تحدد رد فعل الرجل حين يتيقن من خيانة زوجته.

●● قد يرفض عقله التصديق رغم أن الأدلة دامغة وقد يتقبل الأمر وهو رابط الجأش، قد يندفع ويرتكب جريمة وقد يعالج الأمر بهدوء وحكمة. قد ينهى حياته الزوجية فوراً وقد يعجز عن ذلك ويستمر، وقد يستمر بوحى من إرادته وتفهمه. قد يرضى أن يعيش معها رغم انعدام ثقته بها وتوقعه لاستمرار خيانتها له وقد يعالج أسباب خيانتها ويحدد مسئوليته ليبدءا معًا صفحة جديدة وليتحاشا تكرار ما حدث.

●● قد تكون خيانة زوجته غير مفاجئة له وقد تقع على رأسه وقع الصاعقة لأنه لم يكن يتوقعها.

www.ibtesama.com/vb

●● الأمر يختلف من رجل إلى رجل. والنظرة إلى الخيانة ومعالجتها تختلف حسب البيئة والمجتمع والثقافة السائدة، تختلف حسب درجة التمسك الدينى.

●● والتزامًا بالنص القرآنى الكريم فإننا نجد أن الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك، وأن الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة، وأن الخبيثين للخبيثات، والخبيثات للخبيثين. إلا أنها جريمة خطيرة من الصعب إثباتها أو أن الإسلام الحنيف أوجد صعوبات لإثباتها القصد منها التدقيق حتى نصل إلى اليقين الكامل، حتى لا يكون قذف المحصنات أمرًا سهلاً ومشاعًا نظرًا للعواقب الوخيمة والسيئة جدًا التى تنتج عن الاقتناع بوقوع هذه الجريمة، وكذلك سهولة الانزلاق فى توجيه الاتهامات والتى قد تكون باطلة عن سوء قصد ونية بغية الإضرار بالأبرياء. ولهذا يجىء نص قرآنى آخر كريم يقول (إن بعض الظن إثم) وهو ما يؤكده أيضًا حديث الإفك.

●● ولكننا نحن بصدد إثم حقيقى قد وقع وتيقن منه الزوج سواء إذا كان يقينًا شرعيًا إسلاميًا أو يقينًا اعتمد فيه على أدلة غير دقيقة، المهم عندنا أنه وصل إلى مرحلة اليقين الكامل بوقوع الخيانة الزوجية.

●● الرجل السوى يتحطم تمامًا وخاصة إذا كان من بيئة سوية تلتزم دينيًا ولها قيمها الأخلاقية الرفيعة؛ وذلك لأن مثل هذه البيئة

www.ibtesama.com/vb

ترى الزواج علاقة مقدسة وترى الوفاء والإخلاص كأساس لهذه العلاقة .

وتشكل الخيانة تهديدًا خطيرًا لاستقرار المجتمع واستمراره، كما تقوض بقية القيم الأخلاقية الأخرى كالصدق والأمانة والشرف، وأيضًا القيم الإنسانية التى تربط بين الناس كالرحمة والإيثار والتعاون . وهذا الرجل الذى جاء من هذه البيئة يعيش الزواج بكل أحاسيسه ويهب حياته للأسرة ويخلص تمامًا لزوجته، ويرى أن السعادة الحقيقية لا تكون إلا من خلال حياة الأسرة . وهو يرى الحب من خلال معناه الأسمى الحقيقى وهو المودة والرحمة، ولهذا فهو يبذل قصارى جهده مودة ورحمة لأسرته . ويتحقق مثل هذا الرجل من كيانه الرجولى من خلال علاقته بامرأته، أى أن الزواج يؤكد له قمة اكتمال ذاتيته الرجولية، وتلك هى الأحاسيس الرائعة التى يستشعرها الرجل من قوة وزهو وطمأنينة وثقة بالنفس .

إن أسرته وزوجته تتيح له أن يقول أنا رجل، هذا إحساس محورى ومركزى تدور حوله بقية أحاسيسه ومشاعره الإيجابية وإقباله على العمل وإقباله على الحياة وحماسه ونشاطه وتدفق طاقته وحيويته، ويتولد عن هذا إحساسه الطبيعى بالميل الغريزى ناحية زوجته فيقبل عليها بشهية وحب ويكتمل لديه هذا الإحساس باستجابة زوجته له وإقبالها عليها، واستمتاعها بنفس القدر معه . ولا يكون

www.ibtesama.com/vb

فقط إحساسًا جسديّاً شهوانيّاً ولكن ثمة أحاسيس متكاملة ينبض بها الجسد والروح معًا فيشعران معًا بالسعادة. والسعادة هى لذة روحية شاملة تختلف عن لذة الجسد.

●● مع خيانة الزوجة لهذا الرجل بالذات من هذه البيئة بالذات ينهار كل شىء، أو تنهار هذه المعانى. أو ينهار إحساسه بذاته الرجولية وينهار إحساسه بتكامل الإحساس فى العلاقة الزوجية. ينهار إحساسه بمعنى الأسرة وبالحب الأسرى أى بالمودة والرحمة. فلا مودة ولا رحمة فى الخيانة، بل الخيانة هى المقابل العكسى تمامًا للمودة والرحمة، ولم تعد الزوجة هى السكن الخاص له وحده بل هى سكن مشاع مباح، ولم تعد الزوجة هى حرثه الذى يأتيه متفردا متميزا وإنما تصبح حرثا عموميّاً تطؤه كل قدم.

إنه انهيار للمعنى، المعنى فى كل شىء طيب فى الحياة، ولذلك ينهار من هول الصدمة وعدم التصديق، ليس مهما أن نعرف بعد ذلك موقفه وسلوكه المستقبلى والخطوات التى سيتخذها للتعامل مع هذا الموقف، إنما يهمنا فقط التعرف على رد الفعل الذى يكشف عن التكوين النفسى للرجل والذى تشكل من خلال بيئة معينة؛ لأن هذا يكشف عن الموقف الدينى الأخلاقى الفلسفى الإنسانى من موضوع الزواج ومن موضوع علاقة الرجل بالمرأة.

لا يهمنا أيضًا لماذا خانت هذه المرأة، إنما المهم أنها خانت. وقد لا تعكس خيانتها خللا بيئيّاً، ولكن موقف الرجل أو رد فعله من

www.ibtesama.com/vb

خيانة المرأة هو الذى يعطينا صورة حقيقية عن الظروف البيئية، تلك الظروف التى قد ترتعب من الخيانة أو قد تقبلها ببساطة وسهولة حيث إن هناك رجلاً آخر من بيئة أخرى يتقبل خيانة زوجته بهدوء وببساطة وبصدر رحب، ربما يتألم بعض الشيء، ربما يغضب قليلا، ربما لا يؤثر هذا كثيراً على علاقته المستقبلية بها إذ ربما يستمران معا داخل مؤسسة الزواج كزوج وكزوجة وتستمر هى مع عشيقها وأيضًا يستمر هو مع عشيقته إذا كان له عشيقة، فهذه فلسفة وجهة نظر، موقف ثقافى حضارى، هذه بيئة ذات طبيعة خاصة وقيم خاصة ومبادئ خاصة تتعلق بالزواج وعلاقة الرجل والمرأة. هذه بيئة لها موقف معين من الحرية، وخاصة حرية المرأة، وحرية الجسد.

وأنا هنا لا أتعرض للبواعث النفسية لخيانة الزوجة ولكننى أتعرض فقط للموقف البيئى وكيف أن هذا يشكل مفهوم الناس عن الزواج والعلاقة بين المرأة والرجل فى إطار الزواج. وبهذا نجد أن الإسلام العظيم قد تعرض للمجتمعات التى تشيع فيها الفاحشة وتحدث أيضًا عن هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

●● والموقف البيئى أيضًا يحدد نظرة المجتمع إلى المرأة الخائنة إما كامرأة تمارس حريتها الشخصية أو كرد فعل لظروف نفسية

www.ibtesama.com/vb

خاصة، أو كإنسانة آثمة مخطئة باغية معتدية جانية تستحق العقاب. أو قد تكون النظرة متوازنة مقدرة تجمع بين الدين والعلم من حيث تأثيم الخيانة وفى نفس الوقت بحث الأسباب النفسية والدوافع وراء هذا السلوك الخاطئ، فهو خاطئ حتى وإن كان مرضيًا.

●● إلا أن الرجل السوى وفى الأحوال العادية أى فى البيئة المتوازنة والتى لها رواسخها الدينية الأخلاقية يعانى ألما فظيعًا يستمر معه إلى أن يودع الدنيا، ألم خيانة الزوجة لا يزول عند الرجل، ويظل وقتًا طويلاً يعانى الآثار التدميرية للحدث حتى يستطيع أن يلملم نفسه وإن كان لن يستطيع أبدًا إعادة بناء ذاته المنهارة وكيانه المتهاوى ورجولته المبعثرة وخاصة إذا كان الحدث مفاجئا له وغير متوقع. وإذا استمر فى زواجه لأى سبب فإنه لن يكون زواجًا طبيعيّاً حتى وإن انصلح حال زوجته وأصبحت قديسة وظلت طوال حياتها تكفر عن ذنبها.

●● والغريب فى الأمر أن المرأة تغفر وتتسامح وتنسى خيانة الزوج. ولكن الزوج لا ينسى أبدًا، ولعل هذا له دلالته التاريخية، أو الأصح والأصدق دلالته الربانية. وذلك لأنه لا يمكن أن ينصلح أمر الكون وتستمر الحياة وتستقر إلا من خلال فضيلة المرأة. فضيلة المرأة هى الأساس. إذا حدث تساهل فى فضيلة المرأة انهار الكون وفسدت الحياة؛ ولهذا لا يمكن أن تقاس فضيلة

www.ibtesama.com/vb

الرجل بفضيلة المرأة، وأهمية وجسامة وخطورة وعظم فضيلة المرأة تفوق كثيرًا فضيلة الرجل، ولذلك فإن البيئة السوية تنتظر بهلع إلى خيانة المرأة، وكذلك ينهار الرجل لخيانة المرأة، ولعل هذا يرتبط بالدور الهام للمرأة فى الحياة كأم. هذا الدور الذى لا يمكن إنكاره أو الإقلال من شأنه وخاصة من قبل الذين ينادون بالمساواة إذ ينكرون قصر دور المرأة فى الحياة على أن تكون أمّاً وأن تكون رحمًا وأن تكون وعاء لاحتواء جنين. إن الدور الحقيقى للمرأة يبدأ بعد الميلاد حيث التربية والتنشئة. حيث التخليق النفسى الفكرى الوجدانى الأخلاقى الإنسانى الاجتماعى السياسى. هذا هو دور المرأة الأم، ولذلك كان يجب أن تكون فاضلة، امرأة غير فاضلة لا تصلح أمّاً. . ولكن نعود فنقول إن دور المرأة الفاضلة لا يكتمل ولا يؤدى على النحو الأكمل إلا من خلال رجل فاضل وبذلك يتحقق قول العزيز العليم: ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] صدق الله العظيم.

●●●

www.ibtesama.com/vb

١١
خريف الرجل

●● بعض الناس يفضلون الخريف . . ينتظرونه . . يترقبونه . . يبهجهم الخريف أكثر من الربيع، يجدون فى تساقط الأوراق جمالاً . ربما أكثر جمالاً من تفتح الورود، يجدون فى الشجرة الجرداء وقارًا يوحى بجمال راق، ينتشون باللون الرمادى الذى تكتسى به الدنيا سماء وأرضًا ويهزهم هواء ينبئ ببرودة قادمة . ويؤكدون أن للخريف رائحة ليس كمثلها شىء توحى بجلال وقدم وتاريخ . يجدون فى كل ذلك معنى وقيمة وعمقًا . ويشملهم حزن رقيق هو أقرب إلى السرور الهادئ يدفعهم للتأمل والتفكير والتدبر والإدراك الباطنى، وتراودهم الأفكار النبيلة عن خالق الكون ومبدعه ويصحو لديهم حنين دفين للفن .

●● ولذلك لا ينزعج رجال كثيرون وهم يتخطون الخمسين، لا يشعرون بالانطفاء ولكن بالتوهج، ولا يقلقهم تجاعيد زاحفة أو شعيرات بيضاء متناثرة ربما بكثافة، ولا ينشغلون بمقاومة الزمن والبحث عن وسائل للعودة إلى الوراء . بل يرتشفون الحاضر بتلذذ غير معهود ويستمتعون بخواطر وإلهامات ونبضات وجدان غير مسبوقة . وتشملهم همة وحماس ونشاط هادف واع . وتصبح قيمة الزمن أعلى، وإذا بالساعة الواحدة إيجازًا

www.ibtesama.com/vb

وإمتاعًا تساوى يومًا من الزمن غير البعيد. وفى هذه المرحلة يستطيعون بالعين المجردة أن يروا الكرة الأرضية وهى معلقة فى فضاء الكون، ويدركوا علاقتها بالكواكب والمجرات الأخرى، وينفذوا بأبصارهم وأفكارهم ووجدانهم إلى أعمق أعماق الكون فى محاولة لإدراك سر الوجود.

وتتراجع القوى الجسدية رويدًا رويدًا، تراجعًا غير محسوس وغير مدرك، وتتزايد قوى أخرى، القوى المعبرة حقاً عن معنى الإنسان، وأهمها قوة الروح، فتزداد شفافية وإحاطة وإلمامًا ونفاذًا وإدراكًا ونقاء وكشفًا، وإذا بقوة الروح تمنح الجسد المتراجع قوة من نوع جديد تزيد من روعة الأحاسيس وتجاوبها، ويكتسى الوجه وقارًا يوحى بجمال أخاذ ناضج من عقل ناضج.

●● وقليل من الرجال ينزعجون يصيبهم قلق وغم. يتحسرون. ينظرون بأسف إلى الشباب اليانع من حولهم بل ويحسدون، يهرعون إلى الأصباغ والألوان والمقويات لعلهم يسرقون الزمن، ولكن هيهات. ينشغلون بالكامل بأجسادهم. فتنطفئ أرواحهم ويدخلون فى سباق هم الخاسرون فيه حتمًا. ويزداد القلق وتزداد الكآبة. فيزداد التهور والاندفاع والانغماس واللهث وراء لذات فورية مؤقتة تفشل فى إرواء الجسد المتراجع.

●● والعلم يطلق على هذه المرحلة سن اليأس عند الرجال. وتبدأ

www.ibtesama.com/vb

حول الخمسين فى مقابل سن اليأس عند المرأة والتى تبدأ حوالى الخامسة والأربعين .

●● وهى مرحلة تراجع هورمونى وتساقط الخلايا . فيخفت وهج الرغبة ، تتواضع رعونة النشاط والهمة ، وتبطأ الاستجابة ويصحب ذلك تغيرات واضحة فى الملامح والشكل والقوة والحركة . ويصاحب ذلك تغيرات فى النفس فتغشاها كآبة وزهو وفتور وانطفاء وتراجع وانهزام وحسرة وأسى ، وهى نفس المعانى التى يمكن أن نستوحيها بالنظر إلى أشجار الخريف وخاصة إذا كنا من هذا النوع من الناس الذين يرون الشجرة واقفة منتصبة قوية جذورها ممتدة فى الأرض وساقها مرتفعة إلى السماء ومازالت تجرى فى شرايينها المياه حاملة عناصر الحياة من الأرض إلى خلاياها . ولا يزالون يرون فيها جمالاً من نوع خاص بعد ذبول أوراقها .

●● إذن الأمر يتوقف على كيف ننظر إلى الأشياء . كيف نفهم الحياة ، كيف ندرك المعنى ، كيف نرى بانوراما الحياة منذ لحظة الميلاد إلى لحظة الرحيل ، وما حكمة المراحل التى يمر بها كل مخلوق حى من ضعف إلى قوة ضعف إلى زوال .

●● بعض الناس يزعجهم التراجع الجسدى فيشغلهم عن تعاظم فى قوى أخرى داخلهم ويلهيهم عن متع أخرى لا يمكن إدراكها إلا فى هذه المرحلة من العمر .

www.ibtesama.com/vb

●● بعض الرجال فى هذه المرحلة من العمر يتصورون أن بإمكانهم خداع الزمن فيتشبهون بشباب العصر فى ملبسهم وسلوكهم، ثم يتصورون أنه بإمكانهم البدء من جديد، أى وكأنهم يبدأون حياتهم فيتزوجون بمن تصغرهم فى السن كثيرًا ويدخلون فى سباق ومنافسة مرهقة مضنية ويعيشون الوهم. وبذلك تضيع منهم متعة الطمأنينة مع شريك العمر ورفيق رحلة الحياة حيث كبرا معًا وحصدا معًا، وحزنا معًا، وادخرا رصيدًا هائلاً فى بنك الذكريات ينفقان منه وهما يندثران ملتصقين حول مدفأة الشتاء. وبذلك تفوت عليهم فرص الاستمتاع بالأبناء وقد كبروا وبفرض قفز الإحصاء من حولهم وذلك يفقدون فرص التمتع بالشجرة الكبيرة التى بدآها معًا وأثمرت أولادًا وبنات وأحفادًا.

●● والاكتئاب يداهم هؤلاء الذين يتحسرون بشدة على الشباب الفائق، ويسمى اكتئاب سن اليأس. وهو اكتئاب مرضى يحتاج إلى علاج طبى نفسى حيث يشعر الرجل بالحزن واليأس والقنوط وعدم الرغبة فى الحياة والأرق وضعف الشهية مع زيادة فى الوهن الجسدى أو قد تكثر الشكاوى الجسدية دون أن يكون لها أساس عضوى . حالة من توهم المرض دون أن يكون هناك مرض.

●● وتزداد نسبة حدوث الاكتئاب بعد المعاش. . ولعلها من أكثر

www.ibtesama.com/vb

فترات العمر حرجًا عند الرجل. والمعاش عند بعض الناس معناه فراغ وضياع السلطة والهيبة وكأن الرجل كان يستمد كل كيانه وذاته من سلطته فإذا فقدها أصبح هو لا شيء بعد أن كان كل شيء. وهذه خطورة أن يصل الإنسان إلى سلطة أو منصب براق أو هام دون أن يكون هناك أساس علمى أو تفوق مهنى حقيقى، فإذا ترك وظيفته عاد إلى نقطة الصفر لأنه لم يكن لديه رصيد حقيقى من علم وخبرة وتميز. هذا يحدث فى نوعية معينة من الوظائف والتى تجعل صاحبها ينشغل بالسلطة ويزهو بالقوة وينصرف عن الاهتمام الواعى الذكى لمستقبله فيما بعد زوال السلطة.

تقل حدة أعراض مرض المعاش عند هؤلاء الذين يستمرون فى عمل جاد ومفيد ومثمر مستفيدين من رصيدهم العلمى الثقافى الخبراتى. لأنهم أتقنوا صنعة معينة، وأجادوا حرفة خاصة. ووصلوا إلى درجة من المنضج والاحتراف بحيث يتلهف الناس على بضاعتهم لشدة إتقانهم وبراعتهم ودقتهم وإبداعهم، وهذه البضاعة من الممكن أن تكون رأيًا أو مشورة أو حلا لمشكلة. . ولا شيء يوقف مرض المعاش إلا العمل بعد المعاش. ويجب أن يستمر العمل حتى آخر لحظة فى العمر. يجب ألا يتوقف الرجل أبدًا عن العمل. والعمل بعد المعاش له متعة خاصة، متعة الهواية، متعة العشق، متعة الإرادة الحرة الكاملة، متعة الإبداع والتفنين، هذه متع لم يكن يشعر بها الرجل وهو يمارس عمله فى شبابه، وهذا

www.ibtesama.com/vb

جانب من المتع التى لا تتاح للإنسان إلا فى هذه المرحلة من العمر .

●● ومع التطور الحضارى العلمى وخاصة فى المجالات المتعلقة بالبيئة والصحة أصبح من الممكن للإنسان أن يستمتع بالنشاط والقوة والحيوية والذاكرة الحادة بعد الستين ، وأيضًا بعد السبعين وربما بعد الثمانين ، بعض الناس تقل حركتهم بعد المعاش تحت تأثير وَهْم تقدم العمر . وبالتالى تقل حركتهم النفسية ، فيزداد الإحساس بالنهاية وهذا خطأ كبير ؛ إذ يجب أن يستمر النشاط الحركى العضلى والنفسى . النشاط الكامل . يجب أن تظل الشرايين مفتوحة تدفع بدم الحياة إلى كل خلايا الجسم من قلب ملىء بالحماس وحب الحياة ومن عقل منتبه واع أصبح يدرك بعمق أكثر .

●● ثم يجب على الإنسان أن يعود إلى هواياته التى لم يكن لديه متسع من الوقت لممارستها . يجب أن يقرأ الكتب التى فاتته ، وأن يعطى وقتًا للاستماع إلى التراث الموسيقى بتفرغ وخاصة أن الموسيقى فى وقت انشغالنا تكون دائمًا فى الخلفية أى لم نكن نعطيها اهتمامًا وتركيزًا خاصًا .

●● يجب ألا يتوقف الإنسان عن ممارسة كل ما كان يستمتع به فى بداية حياته . ألا يتوقف عن الترفيه والترويح عن النفس . بل إن هناك متعًا جديدة تضاف وأصبحت متاحة له فى هذه السن أو أنه أصبح قادرًا عليها .

www.ibtesama.com/vb

●● ويستطيع الرجل مهما بلغ عمره أن يستمر فى ممارسة الحب بكل أشكاله مع شريكة حياته. ربما بكفاءة يحسده عليها أبناء العشرين، فلديهما رصيد من خبرة وألفة. كل منهما يستطيع أن يرى تعبيرات وجه الآخر فى الظلام، كل منهما يستطيع أن ينصت بفهم إلى أنفاس الآخر. كل جزء من جسمه يستطيع أن يقيم حوارًا مع كل جزء من جسم شريك حياته، بل إن هناك حوارًا روحيًا عذبًا يدور بصفة مستمرة وهما صامتان.

وإذا هما يمارسان الحب يستعينان بكل الذكريات الحلوة فى ممارسات سابقة تعد بعشرات المئات. إنه مذاق مستمر ونكهة دائمة وإحساس متجدد ونبض قلب لا يتوقف وحركة روح لا تهدأ ونشاط فكر عاشق..

●● وهم كبير أن الجنس غير متاح للمتقدمين فى العمر، بل هو متاح بصورة أروع وأمتع لأنه يحلق بهما فى أعلى سماء فتصبح نشوة الروح فى أقصاها حتى وإن كانت هزات الجسد فى أدناها.

●●●

www.ibtesama.com/vb

١٢

عندما يصاب الرجل بالضعف الجنسى!!

قد تضطرب الوظيفة الجنسية عند الرجل مثلما تضطرب أى وظيفة فسيولوجية أخرى فى الجسم مثل الاضطرابات التى تصيب الهضم والتنفس أو الحركة العضلية وهكذا . . وهذا الاضطراب الجنسى قد يكون خللاً وظيفيّاً مؤقتًا يستمر ساعات أو أيامًا أسابيعًا أو حتى شهورًا قليلة، سرعان ما يشفى منه الإنسان بصورة تلقائية أو بفعل علاج بسيط . وقد يكون الاضطراب الجنسى بسبب مرض محدد نتيجة لأسباب معينة وهذا يستلزم التداخل العلاجى والذى قد يؤدى إلى شفاء كامل وعودة الحالة إلى طبيعتها قبل المرضية أو قد يؤدى إلى تحسن نسبى .

●● المهم أن الوظيفة الجنسية عند الرجل يعتريها ما يعترى أى وظيفة بدنية أخرى من اضطرابات تؤدى إلى عدم القدرة على أداء هذه الوظيفة كما ينبغى أو عدم القدرة على أدائها بالمرة .

●● إلا أن هناك أمورًا يجب توضيحها منذ البداية حتى لا يرسخ فى أذهاننا اعتقاد بأن الوظيفة الجنسية تخضع لنفس القوانين التى تخضع لها أى وظيفة فسيولوجية أخرى بالجسم . إنها حقّاً

www.ibtesama.com/vb

وظيفة لها جانبها الفسيولوجى إلا أن هناك عوامل أخرى هامة تتداخل فسيولوجيا مع الجنس لتحدد مدى القوى وشكل الأداء وهذه العوامل المرتبطة بالوظيفة الجنسية هى :

١- عوامل نفسية مباشرة كالحالة المزاجية الموجود عليها الإنسان مثل السرور والطمأنينة أو القلق والاكتئاب .

٢- عوامل نفسية غير مباشرة أو لا شعورية مثل التاريخ الجنسى للإنسان والآثار التى تركتها الأحداث والمفاهيم الجنسية على هذا الإنسان وترسبت فى عقله الباطن وأصبحت تتحكم فى هذه الوظيفة الجنسية .

٣- الظروف البيئية والثقافية التى تشكل موقف المجتمع من الجنس والعلاقات الجنسية .

٤- العلاقة مع الطرف الآخر . أى الشريك فى العلاقة الجنسية . علاقة زواج . علاقة محرمة . مودة . نفور . . وهكذا .

٥- الموقف الدينى للإنسان .

٦- السن، أى عمر الإنسان، فهذه الوظيفة بالذات تتأثر بمراحل العمر المختلفة .

●● كل هذه العوامل مجتمعة وليس بعضها تؤثر فى النهاية على الوظيفة الجنسية ، هذا بالإضافة إلى العوامل الفسيولوجية

www.ibtesama.com/vb

المباشرة وغير المباشرة كالصحة العامة والجهاز العصبى والغدد الهورمونية الجنسية .

●● ونحن لسنا بصدد مناقشة الأسباب ، بل سنهتم بتأثير الاضطراب الجنسى عند الرجل على العلاقة الزوجية ، هذا التأثير الذى قد يعوق فى حد ذاته نجاح العلاج وقد يصبح سببًا لاستمرار الحالة وقد يؤدى إلى فشل الزواج .

من الناحية الإكلينيكية فإن الاضطراب الجنسى قد يكون مؤقتًا وقد يطول زمنيّاً . قد يأتى فى صورة متكررة من وقت لآخر وقد لا يعاود الرجل أبدًا إصابته ثم شفائه أول مرة .

وقد يكون اضطرابًا كاملاً وقد يكون اضطرابًا محدودًا .

وقد يأتى تدريجيّاً ويتزايد مع الوقت على مدى شهور وقد يداهم الإنسان فجأة .

●● وهذا الاضطراب قد يصيب الرجل مع امرأة بعينها ولكنه من الممكن أن يكون سليمًا وطبيعيّاً مع أى امرأة أخرى .

●● وفى النهاية فإن هذا الاضطراب قد لا يظهر إلا إذا حاول الرجل ممارسة الجنس . أما بعيدًا من المرأة فإنه يكون سليمًا تمامًا كما تؤكد وتثبت الفحوص الطبية التى أصبحت الآن قادرة على تحديد أسباب ودرجة الاضطراب الجنسى ووجوده من عدمه .

www.ibtesama.com/vb

●● هذه كانت الصورة الإكلينيكية المختلفة للاضطراب الجنسى عند الرجل وهو ما يطلق عليه المعجز IMPOTENCE .

●● وكما قلت لا يهمنا دراسة الأسباب ولكن يهمنا دراسة التأثير الذى يكون فى بعض الأحيان مزلزلا فى حياة الروجين .

١ - الأمر فى البداية وفى الأساس يتوقف على طبيعة العلاقة الزوجية ، وبمعنى أدق إلى أى مدى تتواجد وتتوافر المودة والرحمة بينهما؟ إلى أى درجة هما متقاربان؟ هل يعيشان كالغرباء ، بحيث يكون العطاء مساويًا تمامًا للأخذ؟ وإذا حدث أى خلل فى الميزان يكون الشعور بالغبن والظلم وعدم العدالة والتفكير الجدى فى الانفصال والنجاة؟ أم هما قريبان إلى الدرجة التى يشعر كل منهما أنه أم أو أب للطرف الآخر يعطيه دون أن ينتظر المقابل ويتفانى فى إسعاده ورضائه ويكون لدى كل منهما يقين بأن علاقتهما أبدية ولا يمكن أن تنفصم لأى أسباب؟

● وهناك عقود زواج مشروطة بمدى قدرة كل منهما على الاستمرار فى العطاء ، ومن ضمنها العطاء الجنسى ، فإذا تعطلت هذه القدرة كانت مبررًا كافيًا للانفصال ، وهناك عقود أبدية خالية من أى شروط . والنقطة الجوهرية هنا تصبح : مدى اليقين الراسخ داخل كل منهما عن أبدية العلاقة الزوجية مهما كانت الصعوبات والتحديات .

www.ibtesama.com/vb

هذه النقطة بالذات تؤثر على مدى استجابة الرجل للاضطراب الجنسى الذى أصابه، تؤثر أيضًا على مدى استجابة المرأة للاضطراب الجنسى الذى أصاب زوجها. فإذا كان كل منهما يشعر بأن استمرارية العلاقة بينهما مشروطة بالكفاءة والقدرة والعطاء الذى ينتظر المقابل الموازى المتكافئ فإن اضطرابًا شديدًا سيصيب الطرفين إزاء الاضطراب الجنسى الذى يصيب الرجل، وسيكون اضطراب الرجل أشد.

وذلك سيخلق عنده حالة من القلق تضاعف من اضطرابه الجنسى، مما جعل التشخيص الطبى ومعرفة الأسباب صعبًا ومختلطًا ومما يعوق بكل تأكيد نجاح خطة العلاج. ولكن فؤاد الرجل يصبح ثابتًا ومطمئنًا إذا كانت العلاقة خالدة، وكذلك سيكون رد فعل المرأة، مما يتيح المواجهة الهادئة الموضوعية العلمية للمشكلة واحتوائها مثل أى مشكلة صحية أخرى.

٢- العامل الثانى والهام والذى يحدد مدى تأثر كل منهما وكذلك التأثير على كفاءة العلاج ثم التأثير على مستقبل حياتهما معًا هو: موقع وأهمية ودور الجنس فى حياتهما. قد شكل الجنس موقفًا أساسيًا ومحوريًا تقوم عليه العلاقة الزوجية بأكملها، وقد لا يحتل المركز عند بعض الأزواج ولكن يكون قريبًا من المركز، وقد يكون هامشيًا فى حياة البعض الآخر. والحياة الزوجية التى تقوم على الجنس لابد أن تنهار فى حالة إصابة أحدهما

www.ibtesama.com/vb

باضطراب الجنس سواء إذا كان مؤقتًا أو دائمًا فإنه سيؤدى إلى نفس النتيجة السيئة. أى زلزلة العلاقة، وكذلك التحسن الجزئى سيكون له نفس النتيجة السيئة، فالرجل قد لا يعود إلى حالته الطبيعية تمامًا وإنما يصادف درجة معقولة من التحسن تتيح للعلاقة الجنسية أن تستمر، ولكن هذا لا يكون مرضيًا مع هؤلاء الذين اعتبروا الجنس محورًا أساسيًا لحياتهم الزوجية.

●● ولكن ثمة تأثيرات لا نستطيع التقليل من شأنها تحدث حتى لدى هؤلاء الذين يعيشون والجنس على هامش حياتهم. فالجنس سواء كان محوريًا أو هامشيًا فإنه يشكل قيمة معنوية ما فى حياته الزوجية. فالجنس فى إطار الزواج لا يحقق إرضاء جسديًا فقط، ولكنه يحقق ربما بالدرجة الأولى فى بعض الأحيان إرضاء عاطفيًا نفسيًا، وخاصة لدى هؤلاء الذين لا يحتل الجنس لديهم موقفًا محوريًا. أما هؤلاء الذين يعتبرون الجنس مركزًا لحياتهم الزوجية فإن الوظيفة الحسية الجسدية للجنس تكون هى الأقوى ولذلك يفتقدونه بشدة، مثل الذى يفتقد الطعام وهؤلاء هم الذى يتأثرون إلى حد الزلزلة فى حالة إصابة الرجل بالاضطراب الجنسى.

٣- ثم نأتى إلى النقطة الثالثة وهى موقف المرأة بالتحديد من زوجها، مدى الثراء فى شخصية هذا الإنسان، مدى إعجابها بجوانب أخرى فى شخصيته، مدى الامتلاء الذى تشعر به مع

www.ibtesama.com/vb

هذا الرجل حتى فى ظل ضعفه الجنسى الذى طرأ على حياتهما، ومدى قدرة الجوانب الأخرى الثرية فى شخصيته على تعويضها الفقد الجنسى.

٤- ثم الثراء فى حياتهما معًا، اهتماماتهما المتعددة، قدرة هذه الاهتمامات المشتركة على إمتاع الروح والنفس والعقل والوجدان إلى الدرجة التى يشعران أنهما لا يفتقدان الجنس افتقادًا كبيرًا مزعزعًا مزلزلاً مفزعًا. والثراء يعتمد أيضًا على عمر الزواج ورصيد الذكريات. فإن آثار الضعف الجنسى الذى يصيب الرجل بعد عام أو عامين من الزواج تختلف عن الآثار التى يخلفها ضعف لم يصب الرجل إلا بعد مضى عشرين عامًا من الزواج.

٥- وهناك رصيد آخر هام يكون محفوظًا لدى الزوجة ويحدد رد فعلها هى بالذات تجاه الاضطراب الجنسى الذى أصاب زوجها. فهناك رصيد بالامتنان. الامتنان للزوج الذى وقف بجوارها وقت مرضها أو ضعفها أو اضطرابها سواء فى الجنس أو الصحة العامة أو أى ظروف أخرى. لم يتذمر. ولم يتنكر لها. ولم يشك. وإنما كان ودودًا رحميًا مقدرًا راضيًا وكان كل ما يعنيه مساعدتها على اجتياز أزمتها.

●● وهناك رصيد من نوع آخر، رصيد من العداوة، رصيد من رغبة دفينة للانتقام وذلك لأن هذا الزوج لم يرحمها وقت ضعفها أو مرضها أو أزمتها، بل أظهر تذمره وتهديده وربما سخريته وحنجرته وملهمته، هنا تنطوى المرأة على مشاعر الألم والتى

www.ibtesama.com/vb

تتحول إلى حقد وعداوة، وتنتهز فرصة ضعفه لترد إليه ما فعله بها وتنتكل به خاصة فى هذا الموضوع الحساس جداً بالنسبة للرجل هنا تصطاده فى مقتل. وهذا لا يعنى إلا أن هذه العلاقة الزوجية مضطربة من الأساس.

٦- والعامل السادس قريب إلى حد كبير من العامل الخامس ويتعلق بشكل عام بالصراعات الحادة والمزمنة الموجودة بين الزوجين وهى صراعات تتسم باللارحمة واللإنسانية وتؤدى إلى أن ينتهز كل منهما لحظات ضعف الآخر ليضغط عليه ويزيد من ضعفه وربما إذلاله، وهذا يعنى أيضًا أن هذه العلاقة الزوجية مضطربة من الأساس، خاصة مع الزوج الأنانى النرجسى والزوج الذى كان يعامل زوجته بقسوة والزوج الذى أهمل زوجته عاطفيّاً وجنسيّاً والزوج الذى تعددت خياناته الزوجية مما ترك جراحًا غائرة لدى زوجته.

٧- العامل السابع هو المستوى الأخلاقى للزوجة ومستوى قيمها التى تتمسك بها ودرجة تدينها وتقديسها للحياة الزوجية، فإذا تدنى المستوى الأخلاقى للزوجة فإن رد فعلها يكون قاسيًا إزاء الاضطراب الجنسى الذى أصاب زوجها مما ينبئ أو يهدد فعليّاً استمرار هذا الزواج. ويخبرنا بهذا تاريخها الأخلاقى أى سيرها وسلوكها وخاصة قبل الزواج، وأيضًا المستوى البيئى الاجتماعى الأسرى الذى تربت ونشأت وعاشت فيه أو ما

www.ibtesama.com/vb

يطلق عليه «الأصل» فهناك أصل طيب وهناك أصل سيئ والأصل يشكل معدن النفس. فهناك معدن ثمين نفيس وهناك معدن رخيص ردىء.

٨- يتحدد التأثير أيضًا بطبيعة كل منهما فى مواجهة الأزمات والمشكلات والصعوبات ومدى قدرتهما معًا على مواجهة ما يطرأ على حياتهما معًا من أزمات معنوية أو مادية. الانزعاج الشديد يؤدى إلى مضاعفة المشكلة، أما المواجهة الهادئة الموضوعية فقد تكون كافية فى حد ذاتها لعلاج الحالات البسيطة والطارئة.

٩- وثمة عوامل أخرى مؤثرة قد نتعامل معها مجتمعة، كالنضج والثقافة والتعليم والعمر ودرجة الحياء. وفيما يتعلق بنقطة الحياء فإن الأمور الجنسية قد تطرح بشكل سافر فى حوارات كثير من الناس الأزواج والأصدقاء وحتى الزملاء، أما عند قليل من الناس فإن الأمور الجنسية خاصة العلاقة الجنسية بين الزوجين تحاط بقدسية خاصة ولا يمكن أن تكون محورًا لحديث أو تندر أو مزح فكاهة. وإذا كان من الضرورى تناولها فإن ذلك يتم بحياء وحذر، إلا أن هذا الحياء قد يصل إلى أقصى درجاته فيصبح خجلا ويصاب الإنسان بالقلق الشديد والتوتر إذا اضطر لمناقشة أحوال حياته الجنسية خاصة مع شريك حياته بل يحجم إحجامًا كاملاً عن ذلك مهما كانت

www.ibtesama.com/vb

ضرورة وأهمية تناولها وهذا معناه أن هذا الإنسان قد تعرض لكبت شديد فى مراحل تنشئته متعلقًا بالأمور الجنسية بحيث إن الحديث عنها بأى صورة كان يعتبر خطأ كبيرًا وجريمة لا تغتفر تستحق العقاب الدنيوى والسماوى.

●●●

●● كانت هذه هى العوامل المؤثرة عن مدى استجابة الزوجين للاضطراب الجنسى الذى يصيب الرجل.

●● والآن نتطرق إلى تأثير الضعف الجنسى للرجل على الحياة الزوجية. هناك عدة احتمالات:

١- إما أن تدمر الحياة الزوجية تدميرًا كاملاً خاصة إذا كان الضعف كاملاً ومستمرآ.

٢- أو تصاب الحياة الزوجية باضطراب تكيفى يأخذ وقتًا طويلاً لإعادة الاتزان والتكيف. وفى خلال ذلك قد تتفجر صراعات قديمة وتتسم الحياة بالخلافات الشديدة والمشاحنات وتخيم التعاسة.

٣- وإما يتعرض الموضوع إلى إنكار كامل من الطرفين فى محاولة لإسقاطه بالكامل من الوعى ويكملان مسيرة الحياة وكأن شيئًا لم يكن.

٤- أو قد تحدث تأثيرات سلبية على الزوجين. فتصبح الزوجة قلقة عصبية مكتئبة حادة. ولكن دون أن تدرك أن هناك علاقة

www.ibtesama.com/vb

مباشرة بين حالتها وضعف زوجها، وكذلك يصبح الزوج عدوانيًا خاصة مع زوجته، وذلك عكس ما قد يتوقع البعض. المتوقع أن يعوض الزوج نقصه الجنسى بزقة المعاملة. ولكن الحقيقة أن الزوج يصبح شديد العدوانية مع زوجته سهل الاستثارة عصبياً مع الاستخدام المفرط للأسقاط وقد يحملها بشكل مباشر أسباب ما أصابه.

٥- وقد يمرض الزوج مرضًا نفسيّاً فعليّاً وتسيطر عليه مشاعر الاضطهاد ثم الشك، وقد تسيطر عليه ضلالات فعلية بأن زوجته تخونه رغم أنها بريئة تمامًا، إلا أن ذلك نادر الحدوث، وإذا حدث فلفترة مؤقتة، ولا يكون الضعف الجنسى هو السبب المباشر لمرض الزوج ولكنه يكون هو الذى فجر الاستعداد الكامن للمرض لدى الزوج.

٦- والزوجة لا تخون زوجها لضعفه الجنسى، ولكن الزوجة التى لديها الاستعداد للانحراف قد تتخذ ضعف زوجها الجنسى ذريعة لاستكمال مسيرة الانحراف. الانحراف استعداد وتكوين وبيئة وتربية وتنشئة وتركيبة اجتماعية أسرية نفسية وتاريخ سابق للانحراف، يبدأ فى مرحلة مبكرة من العمر ويستمر بصورة دائمة أو متقطعة ولكنه لا يختفى بشكل مطلق إلا فى أحوال نادرة وبهداية من الله. ولا علاقة إطلاقًا بين الضعف الجنسى للزوج وانحراف الزوجة. بل إن معظم

www.ibtesama.com/vb

الزوجات المنحرفات لديهن أزواج أصحاء جنسياً وربما بصورة مبالغ فيها .

٧- الاحتمال السابع هو المواجهة الموضوعية الهادئة العلمية للموضوع إما الانتظار بعض الوقت حتى تزول الحالة إذا كانت طارئة ومؤقته، وإما استشارة المتخصص .

هذه الاستجابة الصحيحة تعتمد بالقطع على كثير من العوامل الإيجابية فى العلاقة الزوجية وعلى شخصية كل منهما، وهذا فى حد ذاته كفيل بأن يجعل الاضطراب مؤقتًا ويساعد على زواله حتى بدون تدخل علاجى .

ونجاح العلاج أيضًا يتوقف على تعاون الزوجة وتفهمها وإشراكها ومشاركتها منذ البداية، إنه أمر مشترك، وأى رد فعل حاد أو غاضب أو مبالغ فيه منها يسىء للحالة . وفى هذه الظروف قد لا تكون قضيتنا الأولى المشكلة الجنسية ولكنها تنتهز الفرصة لتصفية الحسابات والانتقام لنفسها فى أشد لحظات ضعف الرجل خاصة إذا كان هذا الرجل من النوع الذى يتأثر بشدة لضعفه الجنسى ويعتبره كارثة تهدد كل حياته وتهدد كيانه وكرامته وإحساسه بذاته ومستقبله، ويتحدد على أساسها مصير زواجه بل مصير كل شىء فى حياته . إذا أعطى الرجل هذه الرجة المبالغ فيها وغير الطبيعية للمشكلة فإنه يتيح للزوجة السيئة أو الزوجة الضحية التى عانت منه فى الماضى أن ترد له إساءاته .

www.ibtesama.com/vb

ثم نأتى إلى النقطة الأخيرة وهى إلى أى مدى من الممكن أن نتقبل التغيرات الجنسية التى تطرأ علينا بفعل التقدم فى العمر. أو بفعل بعض الأمراض التى قد تسبب تراجعًا فى القدرة الجنسية، وإلى أى مدى يمكننا الاستمتاع بالقدر المتاح والموجود والممكن من القدرة الجنسية؟

وكل الخبرات الإنسانية تؤكد أن درجة الاستمتاع لا تتوقف بالدرجة الأولى على مستوى الكفاءة الجسدية لأن المتعة الجنسية فى إطار الزواج هى متعة شمولية تتناول الروح والنفس والجسد. وأنه حتى مع تراجع الجسد بفعل السن أو المرض فإن متعة الروح والنفس تتزايد، وأنه مع مرور السنين يحدث ما يسمى بالتفاهم الجنسى بين الزوجين مما يتيح فرص لمتع أكثر وأكبر.

والسنين -أى العشرة- لا تؤدى إلى التفاهم الجنسى فقط وإنما إلى التفاهم فى كل أمور الحياة وهذا يعنى درجة أكبر من الالتصاق الباعث على طمأنينة خلود العلاقة بين زوجين ناضجين يتمتعان بسمو أخلاقى ومستوى اجتماعى إنسانى راق تظلهما منذ اللحظة الأولى للزواج وحتى آخر العمر المودة والرحمة.

●●●

www.ibtesama.com/vb

١٣
زوج مهاجر

●● لم يتابع الفيلم الذى تعرضه الطائرة بالرغم من أنه كان يبحلق فى شاشة العرض ويضع سماعة الصوت على أذنيه . بل استعرض جزءًا من فيلم حياته وبالتحديد منذ زواجه من جيهان وحتى هذه اللحظات . استغرق الأمر منه ساعتين ونصفًا هو الزمن الذى قطعت فيه الطائرة المسافة من أرض الوطن إلى أرض الدولة التى يعمل بها منذ أربع سنوات وها هو ذا يبدأ السنة الخامسة بعد أن طلب مد الإعارة بضغط من زوجته وأولاده .

●● مع قرب انتهاء السنة الرابعة ، كان قد قرر أن يعود نهائيّاً إلى وطنه ليستقر مع أسرته بعد غياب أربع سنوات انفصلت فيها كل سنة من الآخرى بشهر إجازة يقضيه بينهم . . ومنذ بداية الإعارة قررت الأسرة أن تبقى فى القاهرة على أن يذهب هو وحده وذلك توفيرًا للمصروفات ولزيادة المدخرات تحقيقًا للخطة الاقتصادية التى اتفقوا عليها بعد أن أعلنوا بنبأ الإعارة . وحين أخبرهم بنية العودة النهائية استشعر وجومًا فى أصواتهم جميعًا . أعقب ذلك خطاب عاجل وصله من زوجته فى صورة بيان للميزانية يؤكد استفادتها من دراستها بكلية التجارة . أوضحت

www.ibtesama.com/vb

فى خطابها أن خطتهم الاقتصادية الطموح لم يتحقق منها إلا نصفها نظرًا للزيادة المطردة فى الأسعار وحالة التضخم التى دهورت القيمة الشرائية للجنيه المصرى، وأن رجوعه الآن يشكل كارثة تتحطم بسببها آمال الأسرة جميعها وأنهم بالرغم من تشوقهم لعودته النهائية بينهم إلا أنهم يرجونه أن يبذل الجهود والمساعى للبقاء سنة أخرى خامسة على الأقل حتى يعيدوا النظر فى خطتهم.

كان الخطاب منطقيًا ومقنعًا إلى حد كبير لأنه اعتمد على لغة الأرقام واشتمل على آمال وأحلام، ولم يخل من النبرة العاطفية التى تؤكد حزنهم على فراقه وتلهفهم لعودته ولكن ما باليد حيلة. ولم تنس جيهان أن ترسل الخطاب بمجموعة من الطلبات الجديدة التى لم تتسع المكالمة التليفونية لها. وآخر سطر كان توقيعها بزوجتك الحبيبة المخلصة جيهان وأبنائك البررة ليليان وسوسن وأحمد وطارق.

تأثر بالخطاب وقرر أن يستجيب لطلب الأسرة وتم له ما أراد من امتداد إعارته.

●● واستقبلته الأسرة بقلق وفرح وسألوه عن النتيجة فأراد أن يمزح معهم وقال لهم أن طلب مد الأعارة قد رفض. وكأن قد مستهم جميعًا صاعقة فأصفرت وجوههم وانعقدت ألسنتهم وماتت

www.ibtesama.com/vb

فرحة اللقاء. ثم استفاقوا وعلا صوت باقتراح أن يستقيل من عمله بالقاهرة ويتعاقد مباشرة، يعنى النتيجة أنه لابد أن يسافر مرة أخرى. وأخبرهم بمزحته فاطمأنت قلوبهم وعادت الفرحة وقفزوا إلى الحقائب، ورغم أنه أحضر لهم ما لا يقل عن ٨٠٪ من طلباتهم إلا أنهم أظهروا بعض التذمر وعدم الرضا مع انخفاض مفاجئ فى درجة حماسهم. وظل التراجع التدريجى فى الحماس يتزايد حتى وصل إلى أقصى منتهاه بعد أسبوع واحد من عودته.

●● وفى نفس ليلة وصوله أراد زوجته بعد فراق سنة فأخبرته بعذرها وفهم أنها الدورة الشهرية. فاكتفى بتقبيلها وضمها إلى صدره فاعتذرت بالتعب والإجهاد. وبالكاد بعد عشرة أيام استطاع أن يلتقى بها بلهفة عارمة منه وفتور غير متوقع منها بررته بضغط المسئولية والإرهاق.

●● وانقضى أسبوعان من الإجازة، وبقى أسبوعان، ووضع خطة متكاملة ليتمتعوا معًا ويعيشوا حياة الأسرة على الشاطئ. ولكن الخطة ووجهت باعتراضات نظرًا لتعدد انشغالهم. كل فرد من أفراد الأسرة كان له ترتيباته الخاصة فى هذه الأيام. وتشابكت وتعقدت الاهتمامات والمشاغل، وانتهوا إلى رفض خطته. فأراد أن يشاركهم فى اهتماماتهم وخططهم ولكنهم اعتذروا

www.ibtesama.com/vb

بأدب، شعر بالوحدة، وبالغربة، وببعض الضياع، والفراغ، وأراد أن يثير حماسهم ويحرك اهتمامهم إليه بمزحة أخرى فأخبرهم أنه قدم موعد عودته. فتهللوا شاكرين له حرصه على العودة المبكرة إلى عمله وذلك من أجلهم. وحين تراجع عن مزحته أصابهم فتور، فأدرك على الفور أنه لا مكان له بينهم. وفعلا قرر السفر قبل انتهاء إجازته، طالبوه بمزيد من المصاريف. وحملوه قائمة جديدة من الطلبات، قبلوه، وتمنوا له رحلة سعيدة وركب الطائرة، وعاد بذاكرته إلى ما قبل الإعارة الميمونة، قبل أربع سنوات، كان يكد ويعمل هو وجيهان. المرتبات محدودة والمتطلبات ضخمة، ولكن جيهان كانت عظيمة، عاشقة لزوجها وأولادها وبيتها، متفانية من أجل راحتهم، مدبرة كأستاذة اقتصاد، ولكن الحياة صعبة، والأحلام كثيرة، وكلها تدور حول أشياء صغيرة مثل سيارة وجهاز تكييف وفيديو واستطاعة قضاء أسبوعين فى المصيف كل صيف. وكانت أحلام الأولاد والبنات أكبر من ذلك، ولكنهم كانوا يسعدون بالقليل المتاح من والديهم، لم يفترقوا يومًا واحدًا. وكانوا يقلقون إذا تأخر فى عمله، وكانوا يعترضون لتغيبه يومًا كاملاً، مثلا كل شهر لزيارة أمه. كانوا يفتقدونه بشدة، وكان يفتقدهم بعنف، ما أن يغادر المنزل حتى يشعر باللهفة للعودة. وكان أكثر ما يمتعه اضطجاعه بجانب جيهان كل ليلة فى حوار

www.ibtesama.com/vb

ممتع تتخلله مداعبات. ولم تكن المداعبات تتطور إلا مرتين كل أسبوع، ولكنهما كانا حريصين على المواقيت دون تخلف.

●● واجهوا مشاكل خاصة حينما كان يمرض أحد الأبناء، وحين التحقت ليليان بالكلية، ولكنها كانت مستورة، وكان يستطيع بجهد خارق أن يغطى كل الاحتياجات على المستوى الأدنى.

ولكن كان هناك حلم أكبر يداعبهم جميعًا وهو حلم الإعارة، وكانوا كثيرًا ما يضعون خططًا مستقبلية فى حالة قبول الدعوات وتحقق السفر. بعض هذه الخطط كانت معقولة وبعضها الآخر كان خرافيًا مغرقة فى الخيال اللامحدود مثل شراء قطعة أرض بالمدن الجديدة واقتناء شقة مطلة على البحر وهكذا...

●● إلا أنه لابد من القول أنه بالرغم من الصعوبات الاقتصادية الجمة التى كانت تواجهها هذه الأسرة فإنها كانت أسرة سعيدة. وأكبر مظاهر سعادتهم تماسكهم وترابطهم الشديد وعدم استطاعة أحدهم أن يتغيب عن الآخرين، حقيقة أن خلافات كثيرة كانت تنشب بينهم وأحيانًا كان الخصام يمتد أيامًا إلا أنهم كانوا يعودون أشد التصاقًا. وباختصار كانوا يجسدون المعنى الحقيقى للأسرة، والافتراضى الصحيح لمعنى الأسرة هو أن يعيش أفرادها مع بعضهم البعض وأن يكونوا متماسكين مترابطين وباستمرار ويضمهم مكان واحد ويعيشون عيشة

www.ibtesama.com/vb

واحدة ويواجهون الحياة معًا. وألا يتغيب أحد أفرادها مدة طويلة لأن هذا يحدث خللا نفسيّاً واهتزازا بنائيّاً، وأن يتمتع جميع أفراد الأسرة باهتمام ورعاية بعضهم البعض، وأن يفيض الوالدان على الأبناء بالحب وأن يفيض الأبناء على الوالدين بالحب وأن تسود المودة والرحمة بين الأم والأب، وأن يؤدى كل منهما دوره وأن يتحمل مسئولياته، أم وزوجة، وأب وزوج. وإن تخلى أى منهما عن مسئولياته يحدث نقصًا شديدًا لا يمكن أن يستطيع الطرف الآخر تعويضه فلا الأم تستطيع أن تقوم بدور الأب، ولا الأب يستطيع أن يقوم بدور الأم.

●● وهبطت عليهم الإعارة، وظنوا أنها هبطت من السماء حاملة الخير من أجل تحقيق الخطة الطموح، والحقيقة لا أحد يعرف من أين هبطت بالضبط، وهذه هى أول فكرة طرأت على رأسه المجهد حين وطئت قدمه الطائرة بداية للسنة الخامسة. هل كانت الإعارة خيرًا أم نقمة.. ؟ وإن كانت نقمة فهى بالقطع لم تهبط من السماء. ولكنها جاءت من عند الشيطان.

●● وسافر فى العام الأول، وواجهت الأسرة صعوبات نفسية وحياتية لعدم وجوده، افتقدت جيهان الزوج، وافتقد الأبناء الأب، وافتقد البيت الرجل، ولكنهم تحملوا من أجل الخطة ومن أجل الأحلام الصغيرة. ولكن هذا لا يمنع الخواء الذى

www.ibtesama.com/vb

كانت تشعر به جيهان كل ليلة وهى تمضى إلى الفراش بمفردها، وفى ليالى الشتاء كانت تحتاج بشدة إلى أنفاس زوجها الدافئة. ولم يكن بد من إحكام الغطاء حولها، إلا أن ملمس الغطاء كان يشوكها مؤكدًا افتقادها لغطاء زوجها الحانى.

. . وعناء النهار كان مع الأولاد الذكور والذين زاد تحديهم لها وإصرارهم على مزيد من الحريات وإهمالهم لدروسهم.

●● والطامة الكبرى حين طالبت البنتان بحقوق أكثر لم يكن فى إمكانها تحقيقها. . وتفاقمت الصراعات، وعلت الأصوات، وأجهدوا، وهددت بأن تخبر أباهم، فتراجعوا، واشتم أبوهم بعض مشاكلهم، فقرر العودة، فاستقاموا تمامًا، ولكن الحقيقة أنهم لم يتراجعوا ولم يستقيموا ولكنهم عثروا جميعًا -جيهان وأولادها- على الصيغة المناسبة التى تقلل الصراعات إلى الحد الأدنى وبالقدر الذى لا يزعج أباهم لكى يستمر فى إعارته ويستمروا هم فى حياتهم.

●● واعتادوا أن يكونوا بلا أب. . مثلما اعتادت جيهان أن تكون بلا زوج، واعتاد البيت أن يكون بلا رجل، أصبح الغطاء يكفى جيهان فى الشتاء، وأصبحت تستغرق فى النوم سريعًا بمجرد دخولها الفراش، لم تتنبه أنها تدريجيّاً تفقد أحاسيس معينة. وكان ضروريّاً أن تفقد هذه الأحاسيس، بل هى رحمة ربنا أن

www.ibtesama.com/vb

تفقدها، استمرار هذه الأحاسيس كان سيدفع بها إلى الجنون. بل يجب أن تموت هذه الأحاسيس. إن قوانين العواطف وقوانين الفسيولوجيا تفرض أن ينام الرجل على فراش زوجته كل ليلة. مجرد وجوده بجوارها. وأن تظل جدران الحجرة مشبعة بأنفاسه، وأن يتبادلا الكلمات، وأن يتبادلا اللمسات. وأن يتشاجرا ويتصالحا، وأن يضحكا وأن يبكيا، وأن يناما وأن يصحوا، وأن يسمعها كلمات الحب وأن تسمعه، وبين الحين والحين يعاشرها، هذا هو القانون الطبيعى، هذه هى فسيولوجيا الزواج، أى فسيولوجيا العواطف وفسيولوجيا الجسد.

●● وتعانى كل زوجة بشدة من فراق زوجها إلا إذا كانت لا تحبه. وإلا إذا كانت امرأة مسترجلة، أى تفتقد للمشاعر الأنثوية الصحيحة المتكاملة.

●● ولذلك عانت جيهان، ولكنها تحملت وصبرت من أجل الأحلام الصغيرة، ثم تناست، ثم ماتت الأحاسيس، أى اعتادت على عدم وجودها لأنه غير موجود، أى فى النهاية اعتادت على عدم وجوده، وأصبح الفراش لا يتسع إلا لها. ولهذا ضاق عليها الفراش حين عاد فى إجازته الأولى. ضايقتها أنفاسه، ولأول مرة تنتبه لشخيره، ولأول مرة لا تستجيب أحاسيسها، فكارثة أن تستيقظ هذه الأحاسيس مرة

www.ibtesama.com/vb

ثانية، فإذا استيقظت فماذا ستفعل وما زال أمامها ثلاث سنوات آخرى.

وحين عاد فى إجازته الأولى لم يصدقوا أنفسهم من روعة الأشياء التى جلبها لهم وتمنوها، وكلها انحصرت فى الملابس والأجهزة الحديثة. كانت هذه البداية، وكان الوعد بأشياء أكثر، ولكن لم تتسع حياة الأبناء أيضًا لوجود أبيهم. كانوا قد رتبوا حياتهم بدونه، وأصبح دور الأب يضايقهم. فهو يضع حدودًا ونظامًا ويرعى قانونًا. وهم اعتادوا أن يعيشوا بلا حدود وبلا راع. وتحملوا على مضض، كلها أيام ويغادر، وغادر، ثم عاد بعد سنة آخرى. ثم غادر، وأصبحت إجازاته تمثل عبئًا عليهم، وصلوا إلى السنة الرابعة وقد تحقق لهم الاستغناء الكامل عن الأب مثلما تحقق لجيهان الاستغناء الكامل عن الزوج. أصبحوا ليسوا فى حاجة إليه كإنسان وإنما حاجتهم إليه كانت تدور فقط حول تحقيقهم لطموحاتهم التى نمت واتسعت وتعدت حدود الأحلام البدائية الصغيرة.

ليليان وسوسن كبرتا وكان لابد من التفكير فى زواجهما. وأحمد وطارق كبرا وكان لابد من التفكير فى إيواء كل منهما فى شقة لتستقر حياته، إذن الأحلام اتسعت بشدة، أحلام فوق إمكانية الأربع سنوات على تحقيقها، لابد أن يزيد إلى خمس، ثم إلى عشر، ولا مانع من أن تزيد الإعارة إلى أربعين سنة أخرى حتى

www.ibtesama.com/vb

يمكن استيعاب كل الأحلام الجديدة. وسيجد فى كل يوم حلم جديد، ستتولد أمنيات جديدة، والأب قلبه كبير، ولا يريد أن يكسر قلب أحد، يعيش وحيدًا، فى عزلة، عزلة نفسية، عزلة اجتماعية، لا أحد يكلمه ولا يكلم أحدًا، لا أصدقاء. فكل إنسان منصرف إلى حال سبيله، يحسبها ليل نهار، ماذا كسب؟ ماذا أنفق؟ ماذا يشترى؟ أسعار العملة؟ أسعار السوق الحرة؟ أسعار الشقق؟ إعلانات الصحف، تحجرت حياته تمامًا، فقط ذهنه لا يعمل إلا فى الفلوس، فقد اهتماماته بأشياء كثيرة، فقد اهتمامه بالفن، بالقراءة، فقد اهتمامه بتجويد عمله والإبداع فيه، فقد إحساسه بالجمال، فقد شاعريته ورومانسيته، فقد الاهتمام بكل شىء إلا شيئًا واحدًا فقط.. الفلوس.

وتغيرت ملامحه، وتغيرت طريقته فى الملابس، بل تغيرت نبرات صوته ولهجته وتغيرت حواراته مع أسرته فى التليفون. وتغيرت طبيعة خطاباته، وتغيرت أسرته أيضًا، سيطرت لغة المال وكأنهم يعيشون فى بورصة، كل شىء أصبح يقيم بالمال، حتى وجود الزوج الأب بعيدًا عنهم أصبح يقيم بالمال.

●● وحين هبطت الطائرة أرض المطار فى رحلة العودة لبدء سنة خامسة تنبه إلى صوت مضيفة الطائرة بالإعلان عن الوصول. ففاضت عيناه بالدموع وأحس بأن سقف الطائرة يجثم فوق

www.ibtesama.com/vb

صدره وغادرها بأقدام مثقلة . . ودخل الشقة الصغيرة التى كانت تشع بحرارة جهنم، ولكنه لم يسارع إلى تشغيل أجهزة التكييف فقد كانت جهنم التى بداخله أقوى وأشد، ونام على فراش ساخن يغطيه تراب وأشواك وتمنى الموت، ورأى فى حلمه الموت، وكأنه يغرق . . بينما جيهان وليليان وسوسن وطارق وأحمد يقفون على الشاطئ ينظرون إليه بلا مبالاة .

●●●

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

١٤

رجل سعيد

إذا أردت أن ترى هذا الرجل فأنا لا أعرف عنوانه، ولكنى أستطيع أن أصف لك الطريق إليه. وأنت قادم من الدراسة فى طريقك إلى الأزهر وقبل أن تصل إلى الميدان الكبير الذى يقع فيه ضريح الحسين ومن خلفه حى الجمالية انظر إلى شمالك فسترى جامعة الأزهر. هدئ السرعة قليلاً حتى ترى الباب الرئيسى للجامعة. وفى مواجهة هذا الباب انظر إلى اليمين واقفز بعينيك فوق الرصيف ستطالعك مجموعة من الدكاكين أسفل بيوت توشك على الانهيار ربما عمرها ألف عام من عمر الأزهر. يتوسط هذه الدكاكين دكان متشح بالسواد (هباب). ادخل بعينيك هذا الدكان ستجد الرجل، ستتعرف عليه من الوهلة الأولى، إذ إنه أكبر رجل رأيته فى حياتك، عمره حوالى التسعين هكذا يبدو من ملامح وجهه، ولكن بعد أن تتابعه لثوان قد ترجع عمره إلى الثمانين وربما أقل ولكن ليس أقل من السبعين بأى حال من الأحوال. وإن كان يتمتع بحماس وقوة وتدفق وانتصاب هامة رجل فى الأربعين.

●● أنا أعرف هذا الرجل منذ خمسة وعشرين عامًا، أراه يوميّاً، ولكن لم أتبادل معه كلمة واحدة حتى هذه اللحظة، وكان من

www.ibtesama.com/vb

الممكن أن أقتحمه. ولكن خشيت أن يصدنى، فهو يعمل كل الوقت، ولا ينظر إلا إلى حيث الأوانى النحاسية وهو يقلبها فى النار. إنه «مبيض نحاس» وأنا أتشاءم إذا مررت فى وقتى المعتاد كل يوم ووجدت الدكان مغلقًا. وأتشاءم إذا مرت العربة بسرعة ولم أتمكن من رؤيته. وأتشاءم أكثر إذا وجدت مساعده (ربما ابنه أو حفيده) يقف أمام النار بدلا من الرجل. أصبح جزءًا من طمأنينتى النفسية أن أرى هذا الرجل كل يوم تقريبًا لمدة ثانية أو ثانيتين ودون أن تلتقى عينانا. وأنا لا أعرف اسمه إذ لا توجد أى لافته تعلو الدكان. ولنطلق عليه اسم محمد ليسهل السرد، دعنا نقل عم محمد إكرامًا لسنه.

●● وأنا أستطيع أن أقول أن عم محمد رجل سعيد. بل لا أكون متجاوزًا إذا قلت إنه أسعد رجل فى العالم.

● ولما لا يكون سعيدًا وهو يصر على العمل حتى هذه السن المتأخرة. كل يوم وبصفة منتظمة من العاشرة صباحًا تقريبًا وحتى السادسة أو السابعة فى المساء حوالى عشر ساعات، وإذا مررت فى أى وقت فستجده واقفًا منتصب القامة بأكملها محنى الظهر قليلاً (أمر لا مفر منه) وهو قريب جدآ من النار صيفًا وشتاء. فى أحوال قليلة جدآ ستجده جالسًا فوق كرسى صغير قريب من الأرض ربما بلا ظهر وأمامه ترابيزة صغيرة أكثر انخفاضًا من

www.ibtesama.com/vb

الكرسى وفى يده كوب من الشاى، وأجزم أنه لولا أنه فرغ من عمله لما جلس.

● لماذا لا يكون سعيدًا وهو يعمل بجدية، ومن يأخذ عمله بجدية فهو سعيد، ولا شك أن وراء استمراره فى العمل قصة. ربما هو محتاج لهذا العمل، أى أنه هو العائل الوحيد لأسرته وليس له دخل مادى آخر، ولكن الأجمل -وهذا هو ما اعتقده يقينا- أنه غير محتاج ولكنه يصر على العمل، فلا شك أن له أولادًا وأحفادًا كثيرين يكفونه ولكنه لا يريد أن يحتاج أحد، ولا تتصور كمية التعب التى يواجهها ويشعر بها عم محمد. وأتحدى أن يستطيع شاب أن يقف وقفته، إذن هو يعمل إيمانًا منه بأن أى إنسان يجب أن يعمل، وأن يكون جادآ فى عمله، منتجًا، وأن يكسب من عرق جبينه، وأن يلجأ الناس إليه محتاجين لعمله. وأن يتقاضى أجرًا على هذا العمل ينفق منه على أسرته. ولا شك أنه يجد معنى لهذا العمل، قيمة، لذة، متعة، لا يمكن أن يقف هكذا أمام النار لمدة عشر ساعات دون أن يكون هناك دافع قوى جدآ، وأيضًا متعة فائقة، يا لها من سعادة، يا له من رجل محظوظ، إنه رجل حقيقى، جاد، مسئول، ملتزم.

● وهو رجل سعيد لأنه رجل شريف، إنه يكسب من عرق جبينه، رزقه حلال. وهذا فى حد ذاته كفيل بأن يجعله رجلا سعيدًا.

www.ibtesama.com/vb

بالرغم أنه رجل فقير، ربما فقير جداً، هكذا تدل كل المظاهر المرتبطة به، ولكنه سعيد لأنه شريف، راقبوا أى مليونير أو بليونير يرتزق من الحرام.

سرقة أو رشوة أو نصب أو نهب أو استغلال نفوذ، ستجدونه مضطربًا قلقًا زائع العينين مهدود الوجه تعيس الهيئة باهت الضحكة لا تستشف أى نبرة صدق من صوته، زيف فى زيف، يا لها من تعاسة.

- وهو رجل سعيد لأنه رجل أمين، أمانة أداء العمل وإتقانه. ولا شك عندى أنه يجد لذة وهو يؤدى عمله بإتقان شديد ويزهو به وقد عادت الأوانى لامعة ناصعة نظيفة، ولشرفه وأمانته فكل أهل المنطقة يلجأون إليه، ولابد أنهم يدفعون له ما يطلبه منهم بدون مناقشة أى بدون فصال؛ أولاً لأنهم يثقون به، وثانيًا لأنه رجل جاد وحازم ويعرف أنه يقدم خدمه ممتازة ولذلك يرفض النقاش فى مثل هذه الأمور. إلا أن أسعاره تتفاوت ليس حسب حجم ونوع العمل ولكن حسب الزبون، فهو من أهل الحى منذ سبعين عامًا أو أكثر، وهو يعرفهم فردًا فردًا، ويعرف ظروف كل أسرة. ولذلك ينزل بأسعاره إلى أدنى حد لهؤلاء الذين يجدون صعوبة فى الحياة، كل رجل شريف سعيد، وكل رجل أمين سعيد.

www.ibtesama.com/vb

● وعم محمد رجل سعيد لأنه رجل محبوب، وبالرغم من أننى لم أر فى خلال ربع القرن صديقًا يجلس إليه فى دكانه لأن كل وقته تحمل، إلا أننى واثق أن له أصدقاء مقربين إلى نفسه جداً. وواثق أيضًا من حب كل الناس له: زبائنه وجيرانه، حاول أن تتأمل وجهه، ستجد رغم الجدية بشاشة وكأن هناك ابتسامة صافية على وجهه كل الوقت. ولأنها ابتسامة غير معلنة بالكامل فهذا معناه أنك تستخلص معنى الابتسامة من وجهه وأن ثمة إحساسًا فاض على وجهه نابعًا من داخله، والأصوب أن نقول إن وجهه يشع بالطمأنينة والسلام؛ هاتان أرق كلمتان تصفان وجه عم محمد. ورغم تقدم سنة وفقره وبشاشته إلا أنك تهابه، ورغم أنك تهابه فإنك تحبه، تحبه بمعنى أنك تطمئن وتستريح إليه وتود أن تتكلم معه أو حتى تجلس إليه وهو صامت، إن التواجد بجواره يعطى طمأنينة وسرورًا، ولهذا فعم محمد رجل سعيد لأنه محبوب.

● وعم محمد رجل سعيد لأنه يحظى باحترام وحب زوجته. والحقيقة أنا لا أعرف إذا كانت زوجته على قيد الحياة أم لا (أطال الله فى عمرها وعمره إذا كانت موجودة). ولكن لدى إحساس أنها موجودة. ربما كانت أصغر منه بعشرة أو عشرين عامًا، يعنى عمرها فى الثمانين أو السبعين، ولا شك أنهما يعيشان فى حجرة أو شقة صغيرة فى حى الجمالية بعد رحيل الأبناء والبنات كل إلى حياته الخاصة، لا شك أن عم محمد هو سيد بيته، ولا شك أن

www.ibtesama.com/vb

زوجته تحبه وتحترمه وتهابه. فهو إنسان جاد وحازم وملتزم، وفى نفس الوقت هو إنسان ودود بشوش رحيم، وهو إنسان شريف وأمين وصادق، ولا شك أنه رجل كريم، لا يبخل عليها بالمال والعاطفة، وأنا على ثقة تامة أنه يؤدى واجباته الزوجية. فمثل هذا النوع من الرجال لا يضعفون؛ فلأنه ما زال يعمل، ولأنه ما زال متحمسًا للحياة فلابد أنه يتمتع بقوة. وهو يحب زوجته لأنها عاشت معه ما لا يقل عن خمسين عامًا، لم تتخلف عن الرقاد بجواره ليلة واحدة. وهو لم يعرف غيرها على الإطلاق رغم أن معظم زبائنه من السيدات والفتيات الصغيرات من ساكنات الأزهر والحسين والجمالية واللاتى تراهن فى طريقك يتعثرن بالملاءة اللف التى صممت خصيصًا لتكشف عن الأنوثة الحقيقية للمرأة المصرية. إلا أن عين عم محمد لم تطرف لأى منهن أبدًا ونفسه لم تهف إطلاقًا لأى واحدة بالرغم من إعجاب بعضهن برجولته التى تتبدى فى صلابته وجديته وبشاشته وطيبته. إن عم محمد يؤدى واجباته كاملة نحو زوجته ويجزل لها العطاء، ورغم أنه لم يتعلم الأتيكيت أو البروتوكول إلا أنه يحترم زوجته جدآ، يتعامل معها وكأنها ملكة، ولا شك أن هذه السيدة المحظوظة تشعر أنها أهم سيدة فى العالم. وهى ترى أن عم محمد هو أهم وأعظم رجل فى العالم.

www.ibtesama.com/vb

وهى تعرف أن كل قرش يدخل بيتها هو قرش حلال، والزوجة تحترم وتهاب وتعشق الرجل الذى يرتزق من حلال، وانظر إلى زوجة أى مليونير أو بليونير تعرف أن زوجها يرتزق من حرام. إنه يحظى لديها بعظيم الاحتقار، وإذا كانت تحظى ببعض التسيب القيمى الأخلاقى فإن رجلا آخر قد يتسرب إلى عقلها ووجدانها. ولكن زوجة عم محمد لم تعرف من الرجال إلا زوجها العظيم ولا يمكن أن تفكر فى غيره فهو يملأ عقلها ووجدانها وكل حياتها. كما أنها نشأت على خشية الله وفى بيت متماسك تؤدى فيه كل العبادات وتعلمت احترام الزوج والإخلاص له من أمها. .

لم لا يكون عم محمد سعيداً وهو ينعم بإخلاص زوجته. الزوجة المخلصة هى أكبر مصادر سعادة الزوج.

● وعم محمد يتمتع بصحة بدنية ونفسية طيبة؛ فمجيئه للدكان صباح كل يوم واستمراره فى العمل حتى أطراف المساء ووقوفه على قدميه طوال النهار وحركته الدائبة فى أركان الدكان تعنى أنه معاف بدنياً. وهو يأتى إلى الدكان ويعود إلى بيته مترجلا، وهذا الاستمرار على مدى سنوات طويلة يعنى أنه لم يفقد الحماس قط، وهذا يعنى سلامته نفسياً. ولا شك أن زوجته الطيبة تعد له الطعام الجيد بما يتناسب مع سنه ومع ظروفهما الاقتصادية. ولأنها زوجة مريحة وطيبة ومطيعة فهو لا يعانى من أى ضغوط.

www.ibtesama.com/vb

وبالطبع رجل مثل عم محمد لا يستطع أن يهمل عنصر الترفيه فى حياته، فهو يقوم مع زوجته ببعض الزيارات الأسرية وكذلك زيارة أولياء الله الصالحين وفى ذلك مجلبة للسرور. وفى المناسبات يصعدان إلى الحدائق التى تعلو ربوة الحى، وأحيانًا ينفرد هو بالمشى فى ميدان الحسين وقليلاً ما يتبادل الحديث مع بعض الأصدقاء يقابلهم فى الطريق وأحيانًا يدعونه إلى الشاى فى أحد المقاهى المتناثرة فى الحى القديم وهذا أيضًا يجلب له سرورًا كثيرًا وهو يحب سماع الراديو وخاصة بعد عودته فى المساء وقبل أن يغادر بيته فى الصباح، إنها حياة مليئة بالصحة والنشاط والاستقرار والترويح الذى يجلو النفس. فلماذا لا يكون سعيدًا؟

● والمدهش، والذى يجعلنى متيقنًا من السعادة التى ينعم بها عم محمد أنه رجل نظيف، ففى يوم من الأيام رأيته وهو يغادر الدكان بعد أن انتهى من عمله؛ وجدته رجلا نظيفًا لامعًا مختلفًا عن الرجل الذى أراه أمام النار ممسكًا بالأوانى. فطبيعة عمله تنشر هبابًا (اللون الأسود الذى يتراكم بفعل الدخان) فى كل أرجاء الدكان وبالقطع تشمل وجهه وملابسه. لا شك أنه يغتسل باهتمام بعد نهاية اليوم الشاق ويلبس جلبابًا نظيفًا وطاقية بيضاء مزهرة، ولقد لمحت فى قدميه حذاء من الكاوتشوك الأبيض غاية فى النظافة، وأنا فى رأيى الخاص أن الرجل النظيف هو رجل سعيد. فالنظافة هى أحد أوجه الجمال، والذى يشعر بالجمال

www.ibtesama.com/vb

ويبحث عنه ويحرص عليه هو رجل سعيد، وأيضًا هو رجل منظم. انظر إلى داخل دكانه، المفروض أن يعج بالفوضى، ولكن أبدًا. رغم الهباب إلا أن هناك نظامًا وترتيبًا يعطيان هيبة واحترامًا. فهناك مكان للأوانى التى جاء بها الزبائن توآ ومكان آخر للأوانى التى انتهى من تنظيفها وتلميعها بالقصدير. ثم الفرن المكشوف ثم الحوض المليء بالماء لغسل الأوانى ثم لإطفاء سخونتها بعد وضعها فى النار. وأنظف مكان فى دكان عم محمود هو ذلك الحوض الذى يعلوه صنبور وعليه صابونة حيث يتوضأ ويغتسل إذ كان يؤدى الصلوات الخمس فى مواعيدها. كان هذا هو من أهم الأشياء التى يحرص عليها، نظافة ونظام، أى كل شيء تحت سيطرته، وإذا أردت أن أقحم الطب النفسى فإننى أتصور أن عم محمد شخصيته قهرية أو شخصية وسواسية أى يحب النظافة والنظام والدقة والحرص على المواعيد والأمانة والضمير اليقظ والجدية والصرامة إلى حد عدم المرونة أحيانًا. وأيضًا الصفاء النفسى والنقاء وافتراض حسن النية.

● ولا أتصور أن عم محمد سيحتاج إلى خدماتى كطبيب نفسى فى يوم من الأيام، فهو ينعم برضاء الله ومحبته، فهو يحرص على الصلاة، ورغم ضيق ذات اليد فهو متصدق. ويؤدى بالكامل ما عليه من زكاة، ولكنه لم يستطع أن يحج، وهو حريص على صلة الرحم، ويحرص على مودة جيرانه وحسن معاملتهم، وهو

www.ibtesama.com/vb

دائم الاستغفار واستحضار عظمة الله فى عقله وقلبه، وهو إنسان راض، لا يلهث ولا يتكالب، يستمتع بالقليل الذى بين يديه ولا يتطلع إلى ما فى يد غيره. غاية أمنياته ألا يحرمه الله من صحته ليستمر يعمل، فهو يجد متعة ولذة حين يتقن عمله، ليشعر بأحاسيس الاكتمال تلك التى نسميها فى علم النفس «تحقيق الذات» هو لا يريد أكثر من ذلك، هو واثق بنفسه مقتنع بأهمية عمله وهو يحب هذا العمل.

- وهو لا يعرف معنى كلمة سعادة، ولم يفكر فى السعادة أبدًا. وهو لا يعرف أن ما يشعر به اسمه السعادة. غير أنه يدرك أنه يكون فى قمة حسن الحال حين يشعر أن بينه وبين الله عمارًا، ولا تحاول أن تدقق فى معنى كلمة «عمار» ولا كيف يشعر الإنسان أن بينه وبين الله عمارًا، هكذا يشعر عم محمد، وهو يعرف بمفهومه الخاص معنى كلمة «عمار»، ويعرف كيف يكون هذا «العمار» بينه وبين ربه.

- إن عم محمد تنتابه بعض حالات الضيق أحيانًا وخاصة فى الصباح، وفى أحوال قليلة كان يجد صعوبة فى الذهاب إلى دكانه، ولحرصه على مواعيد الناس وحاجاتهم كان يجر رجليه جرًا، وبحكم خبرتى كنت ألمح ذلك على وجهه. وكان يحزننى أن أراه حزينًا أو مهمومًا.

www.ibtesama.com/vb

● وأنا أدعـوك أن ترى عم مـحـمـد وخـاصـة إذا كنت تمر بطريق الأزهر. ولكن أنصحك بأن تفعل مثلى وتكبح جماح رغبتك فى أن تقتحمه وتتحدث إليه. دعه يعمل لأنى أعتقد أنه غير مهتم بالتحدث إلى أحد، ولكن ادع له بالصحة فهو جزء من مصر. جزء من التاريخ الذى يعبق به الحى الذى يقع به دكانه، جزء من الشـخـصـيـة المصـرية، الإيمـان، العـمل، الجـدية، الإتقـان، الشرف، الأمانة، الصدق، الحزم، الطيبة، السماحة، الصفاء، الشفافية، النقاء.. هو كل مصر..

●● كم أنت سعيد يا عم محمد.

●● كم أنت غنى يا عم محمد.

●●●

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفهرس

الموضوع	الصفحة
هذا الكتاب	٣
المقدمة	٥
١- الرجل الأول	٧
٢- اللارجل	١٣
٣- زوج بلا مواهب	١٦
٤- رجل ضعيف وامرأة قوية	٢٤
٥- نقص الرجل وتفوق المرأة	٣٣
٦- رجل وامرأة	٤١
٧- الزوجة النكدية	٥٦
٨- المودة.. والرحمة	٦١
٩- لعبة الغيرة والشك	٦٧
١٠- رجل خانته زوجته	٧٧
١١- خريف الرجل	٨٤
١٢- عندما يصاب الرجل بالضعف الجنسي!!	٩١

www.ibtesama.com/vb

١٣- زوج مهاجر ١٠٤
١٤- رجل سعيد ١١٤
الفهرس ١٢٧

●●●

www.ibtesama.com/vb

** معرفتي **
www.ibtesama.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

www.ibtesama.com/vb

الزوج أول من يشكو

الدكتور عادل صادق في سطور

- ولد الدكتور عادل صادق في التاسع من أكتوبر عام 1943م بمحافظة القاهرة، وكان والده يعمل ضابطاً بالجيش المصري.

- التحق بمدرسة المنيرة وأظهر إلتزاماً وحباً لدراسته ووداعة وعطاءاً تجاه قرنائه مما أثار إعجاب وتقدير المحيطين به في هذه السن المبكرة. ثم التحق بكلية الطب بناء علي رغبة والده

- حيث كان يرغب في دراسة الأدب والفن والموسيقي - ولكنه بالرغم من ذلك أظهر تفوقاً واضحا، فقد كان يؤمن أن علي الإنسان أن يقوم بواجباته ومسئولياته علي أكمل وجه.

وأثناء الدراسة، أهلته شخصيته الكاريزمية والقيادية لأن يكون رئيساً لاتحاد الطلبة .

- تزوج عام 1970م من زميلته في الدراسة وأثمر هذا الزواج عن نجله الدكتور هشام ثم كريمته لينا وكان لأبنائه نعم القدوة والمثل الصالح.

** معرفتي **

- سافر إلي إنجلترا عام 1973م للدراسة، واستمر في تحقيق إنجازات علمية متواصلة حتي علم بمرض والده الذي أقعده فقرر العودة إلي مصر واعتبرها مشيئة الله تعالى في أن يبدأ مشواره في بلاده.

-أسس مستشفى الطب النفسى عام 2000م لتكون منارة للطب النفسى وعلاج الإدمان فى مصر والشرق الأوسط.

الصحوة
ALSAHOH
دار الصحوة للنشر والتوزيع
5 عطفة فريد من شارع مجلس الشعب
السيدة زينب - القاهرة
تليفون 0020223937718
تليفاكس 0020223937767
بريد إلكتروني
Daralsahoh@gmail.com

Design By Abdul Rahman Magdy

www.ibtesama.com/vb

Exclusive
For
www.ibtesama.com